ملف خاص
مارس 2020

# مواطن

www.muwatin.net

## حوار خاص مع
## د. نوال السعداوي..
## الثائرة من أجل الوطن والإنسان والمرأة

## الجنس في
# المنظومة الإسلامية
## كيف يشكل الجنس الواقع الاجتماعي؟

## التحرش الجنسي
بين التجليات والتبرير

## ختان الإناث
الجريمة المسكوت عنها

ملف خاص صادر عن
شبكة مواطن الإعلامية
ما بعد الخطوط الحمراء
نرصد أحداث المجتمع ونهتم
بقضايا المواطن في الخليج
والعالم العربي

**المكلة المتحدة - لندن**

**للتواصل: Contact@muwatin.net**

**المدير التنفيذي رئيس التحرير**

**محمد الفزاري**

# الفهـــــــــرس

1 | تأشـــــــيـرة
الثائرة من أجل الوطن والإنســـــان والمـــرأة

3 | حوار خاص
مع نوال السعداوي النضـــال العلـمانـــي والنســـوي هما ضمانة المستقبل

7 | أراء
التحـــرش الجنـــسي بين التجليات والتبرير

12 | أراء
عـــن التحرش وأسبابه الظاهرة

15 | أراء
لعنـــــة الأنـــوثة فـــي المجتمـــــعات العربية والإسلامية

19 | أراء
كيف أرى النسوية؟

23 | بـانوراما
الجنس في المنظومة الإسلامية

27 | تداعيـــات
ختـــان الإنـــاث: الجريمة المسكوت عنها

32 | انفوجـــرافيـــك
فاطمة المرنيسي

33 | فيديو جرافـيك
نوال السعدوي

تأشيـــرة

# المناضلة نوال السعداوي:
# الثائرة من أجل الوطن والإنسان والمرأة

محمد الفزاري
رئيس التحرير

" لقد أصبح الخطر جزءا من حياتي منذ أن رفعت القلم وكتبت. لا يوجد ما هو أخطر من الحقيقة في عالم مملوء بالكذب".

ليس من الضرورة كل ما يقوله أو يكتبه الإنسان قد ينعكس على تصرفاته اليومية ومواقفه المفصلية الحاسمة. بيد أن هذه العبارة تعكس بشكل جلي الواقع الذي عاشته الثائرة النسوية الأكاديمية والطبيبة والروائية د. نوال السعداوي. تلك العبارة تلخص ببلاغة حياة السعداوي في نضالها الثوري ضد السلطة السياسية والأبوية في المجتمع العربي والمصري بشكل خاص.

لم أحَرْ كثيرا في تحديد موضوع مقدمة العدد الحالي الذي يتحدث حول ثيمة (المرأة في الثقافة العربية والإسلامية) ليكون حول السعداوي؛ لاسيما أنها خصتنا في "مواطن" بحوار خاص لهذا العدد، ثم بعد ذلك تفرحنا "مجلة التايمس" باختيار السعداوي ضمن قائمة ١٠٠ شخصية نسائية الأكثر تأثيرا حول العالم في القرن الماضي. لعل، أوفي الحقيقة، هذه المقالة القصيرة، لن تضيف شيئا لرصيد السعداوي قدر ما أنها ستضيف لنا في "مواطن" ولي ككاتب لهذه المقالة؛ بيد أني آمل أن يصل لها هذا العدد لأؤكد لها كغيري من الآلاف على أقل تقدير: يا أيتها الثائرة الكبيرة إن نضالك لن يذهب سدى وأن تراثك الثوري، كتابةً ومواقفا، سيبقى بعدك قرونا.

وعلى الرغم أني استخدمت صيغة الجماعة في تأكيد الفرحة بخبر اختيار السعداوي من قبل مجلة التايمس الشهيرة، إلا أنه بدون أدنى شك، قياسا بمعاركها السابقة، كان هذا الخبر مثل الصاعقة نزلت على رؤوس أعداء السعداوي والنشاط النسوي بشكل عام؛ فالسعداوي لها أعداء كثر يمثلون أقصى مراحل تخلف الذكورية الدوغمائية التي انعكست في أشكال كثيرة أهمها السلطة السياسية والدينية والاجتماعية. وأعتقد من أهم أسباب كثرة أعداء السعداوي، وكثرة محبيها أيضا في آن واحد، هو أصالة نضالها وطريق المعالجة التي اختارتها لحلحلة مشكلة الذكورية في المجتمع.

مواطن
MuwatinNet
Muwatin.Net
+44 7426520301

السعداوي اختارت أصعب الطرق عندما قررت أن تقتلع المشكلة من أصولها، لا أن تعالج بسطحية المشكلة الظاهرة فقط. ولهذا نلحظ شمولية الخطاب عند السعداوي المتلمس لجميع جذور المشكلة؛ ففي جميع كتاباتها تربط بين تحرير المرأة والإنسان بشكل عام من ناحية وتحرير الوطن من ناحية أخرى في نَواحٍ ثقافية واجتماعية وسياسية. وهذا ما أكدته فعلا السلطة في مصر عام ١٩٨١ عندما حكمت عليها بالسجن بتهمة جرائم ضد الدولة بعد صراحتها وجرأتها في طرح آرائها النسوية، وسبق هذا الحكم وتلاه الكثير من التضييق عليها في نشاطها ورزق عيشها، مع منع كتبها وعدم السماح لها بالكتابة في الصحف المصرية.

ولم يكن مستغربا أن تنزل السعداوي ساحة الاعتصام في ميدان التحرير وتشارك الثوار ثورتهم رغم تقدم عمرها وتراجع صحتها وهي الثائرة التي واجهت بكل شجاعة جبروت عبدالناصر، وتأسلم السادات، وفساد مبارك. ولم يكن مستغربا أن تنزل السعداوي ميدان التحرير وهي التي لطالما دافعت عن حرية التعبير وكرامة الإنسان وأكدت العلاقة الوثيقة بين السلطة الأبوية الذكورية والسياسية والدينية؛ فتحرير المرأة يأتي بتحرير الإنسان.. بتحرير المواطن من الموروث الديني، والاستبداد السياسي، والعوز المادي.

إلا أن هناك من يرى أن سيرة السعداوي النضالية تشوهت باصطفافها بجانب الرئيس السيسي الذي وصل لسدة الحكم على ظهر دبابة، خائضا بها واديا من الدماء المصرية. والآن هناك آلاف من الأصوات المعارضة تغيبهم السجون البوليسية في ظروف قاسية. هذه كلها حقائق لا ينكرها إلا شخص مكابر عن رؤية الحقيقة وقولها بشجاعة. من حق أي شخص أن ينتقد السعداوي حول موقفها من السيسي مهما كانت طبيعته، بيد أني حاولت أن أجد تصريحا واحدا لها يؤيد السيسي بشكل فج، وفيه نوع من التطبيل المبالغ فيه، كما عهدناه من أنصار المستبد في عالمنا العربي، ولم أجد. لا أريد أن أقف في موقف المدافع عن السعداوي؛ فتاريخها يشفع لها كبواتها -إن وجدت- خاصة ونحن نعلم تقدمها في العمر وتدهور صحتها، كلها عوامل تمنع أي إنسان من متابعة الواقع السياسي عن كثب. كل ما وجدته هي مقارنة بين فترة حكم السيسي الآن، وفترة حكم من سبقه من الرؤساء؛ فمن وجهة نظرها فترة حكم السيسي أفضل.

لعل أيضا هناك أسباب تنطلق من الذات وتؤثر في نظرتها على الخارج وحكمها على الأشياء، من أهمها موقفها المعادي للإسلام السياسي وجماعة الإخوان بالتحديد، هذا على الصعيد الأيديولوجي. أما على الصعيد الشخصي فهي تقارن بين الماضي والحاضر ومستوى الحرية التي تعيشها ككاتبة؛ فكتبها لم تعد ممنوعة كما هو سابقا، واسمها لم يعد ممنوعا من الكتابة في الصحافة المصرية كما هو سابقا أيضا. ورغم كل ما ذكرت، من يعتقد أن السعداوي مخطئة في هذا النوع من الاصطفاف مهما كانت طبيعته، فهذا حقه دون أدنى شك. بيد أنه من الصعب جدا أن تلغي تاريخها بسبب هذا الموقف فقط خاصة عندما تستمتع لها وهي تتحدث عن موقفها معللة وشارحة؛ فليس اصطفافا غبيا أوسطحيا هذا لو اعتبرناه اصطفافا أصلا.

ولعل خير ما أختم به هذه المقالة القصيرة هو ثلاث اقتباسات للسعداوي يلخصن مشروع السعداوي بالكامل:

"الإنسان إنسان بعقله وليس بجسده، ولهذا يجب أن يرتبط مفهوم الشرف بعقل الإنسان سواء ذكرا أو أنثى؛ فالعقل الصادق هو الإنسان الشريف، والعقل المفكر المنتج هو الإنسان الشريف".

"أنا لا أفصل بين تحرير المرأة وتحرير الوطن".

"يفقد الإنسان كرامته حين يعجز عن الإنفاق على نفسه".

رئيس التحرير

# حوار خاص مع نوال السعداوي

## النضال العلماني والنسوي هما ضمانة المستقبل

حوار: محمد هشام

كعادتها منذ نعومة أظافرها وفي عنفوان شبابها وكهولتها النشِطة وشيخوختها المتقدة اعتادت أن تشهق جدلاً وتزفر تمرداً. جادة في تعاملاتها الصحفية ولقاءاتها وجلساتها حتى مع ذاتها وما أقل هؤلاء ؟!. تمشي على خطٍ فكريّ لا تحيد عنه قيد أنملة، ومنهجها الفكري بتعقيداته هو الأنبوب الذي يضخ الدم في عروقها وأحد أهم أسباب استمرارها. د. نوال السعداوي اسم إذا تضمنته أي عبارة أو جملة لا يمكن وأن تنتهي بنقطة عادية أو ينتهي عندها السطر بشكل اعتيادي؛ وإنما تجد العبارة والجملة وقد تزين آخرها بعلامة تعجب (!) أو استفهام (؟). ومن هنا كانت قيمة هذا اللقاء الذي تنفرد به مجلة "مواطن" .

مع د. نوال السعداوي، خاصة مع قلة ظهورها مؤخرا في الصحف والإعلام بسبب حالتها الصحية المتراجعة على نحو ما، وسط إهمال كبير من الدولة المصرية وصمت وانزواء النخبة الفكريةالعلمانية التنويرية في مصر، حينما عرفت د. نوال وابنتها الشاعرة د. منى حلمي بأمر اللقاء والقائمين عليه خاصة من شباب الوطن العربي الشاهد على التجربة الفريدة التي تمثلها "مواطن" ومن يتابعونها من جمهور الوطن العربي وشبابه المثقف المستنير الواعد الذي كان يوجه قسطاً كبيرا من اهتماماته إلى مُلتقى نوال السعداوي الذي كان يعقد بمحافظات مصر منذ أعوامٍ قلائل، رحبتا باللقاء والرد على الأسئلة التي أعدتها مجلة مواطن.. وكان معها هذا اللقاء

- **من الصعب أن أجد جملة أو كلمة يمكنها أن تحتوي مشواري الأدبي والفكري الذي أعتز وأفتخر به كثيرا**
- **أتعرض لإهمال طبى جسيم، ولا اهتمام بصحتي ولم يهاتفني أي مسؤول أو يعرض مساعدة.**
- **سقطت الأقنعة عن العديد من المشايخ ورجال الدين ممن يدعون الفضيلة اللانهائية المطلقة**
- **نحتاج لنخبة تعمل من أجل تشجيع الأفكار والإبداع لا تقوم فقط بالاهتمام بتأسيس الطرق وتمهيدها**
- **أزمة الحركات النسائية الحالية هي الفصل بين قضايا الفكر والفقر والإبداع والتعليم واضطهاد العمال خاصة من النساء**

**1- د. نوال بداية ما سر هذا الاختفاء الكبير خاصة باللقاءات الفكرية التي اعتدتم القيام بها وكذا اللقاءات التليفزيونية؟**

مرضي الأخير وحالتي الصحية المتراجعة هي التي تحول بين قيامي باللقاءات التي كنت أعتاد عليها وكذا الجلسات التي كان يحضرها المثقفون والمفكرون والشباب، وكذلك ملتقى نوال السعداوي. أتلقى العديد من الدعوت شبه اليومية للاستمرار لانعقاد ملتقى نوال السعداوي بالقاهرة والمحافظات؛ ولكنني كذي العادة أعتذر عنها، إذ لا طاقة والصحة لا تساعد كبادئ الأمر، وآمل أن يعود الموضوع قريبا، أعتقد من أجل الشباب الذي يهاتفني ويشتاق وكله توق لمثل هذه اللقاءات.

**3- بخصوص الحالة الصحية لـ د. نوال السعداوي، هل من الممكن أن تطمئني كافة قرائك ومحبينك لاسيما وسط انتشار العديد من الشائعات؟**

ما زلت أعاني من أزمة صحية، لكنني أتحسن بشكل منتظم مع جلسات العلاج الطبيعي وتناول الأدوية التي يصفها الطبيب المعالج لي.

**2- د. نوال السعداوي دون الخوض في أسئلة تقليدية تخص نشأتكم ومشواركم الذي يعرفه كل عيان، إذا أردنا أن نلخص مسيرة نوال السعداوي في جملة فماذا ستكون؟**

ألفت كثيراً ودرست في عدة جامعات ومئات اللقاءات والمحاضرات وكُرمت من زعماء ورؤساء العالم ومن جامعاتها ومن أفخم المؤسسات الفكرية والإبداعية في العالم وحللت ضيفةً في المحافل الثقافية والإبداعية الفكرية في شرق الأرض وغربها. ولذلك لا أرى جدوى من الإجابة على مثل هذا السؤال، فمن الصعب أن أجد جملة أو كلمة يمكنها أن تحتوي ذلك المشوار الأدبي والفكري الذي أعتز وأفتخر به كثيرا.

**4- تحدث كثيرون عن الإهمال الطبي والصحي الذي تتعرض له قيمة فكرية وقامة علمية كبيرة بحجم نوال السعداوي فما صحة هذا الكلام؟**

نعم أتعرض لإهمال طبى جسيم، ولا اهتمام بصحتي ولم يهاتفني أي مسؤول أو يعرض مساعدة واهتمام الدولة بحالتي كما يحدث مع كثيرين ممن أثروا في الحياة المصرية على مدار سنين، وهو أمر غريب ويثير الدهشة! عانيت مؤخرا من عدة مضاعفات إثر عملية المياة البيضاء التي قمت بإجرائها في مصر.

**5- ملتقى د. نوال السعداوي أو المنتدى الفكري الشهري لنوال السعداوي أحد أهم أبرز الأحداث الثقافية والفكرية في مصر في العشر سنوات الأخيرة، في رأيك ما السبب الذي أدى إلى انتشار فكرة الملتقى وتعلق الشباب بحضوره؟ وما أسباب توقفه؟**

نعم حقق ملتقى نوال السعداوي نجاحا كبيراً في مصر وذاع صيته بالوطن العربي عموما، لم يتوقع أحد نجاحه، حتى أنني أيضاً لم أكن أتخيل وصول الملتقى ونجاحه بهذا الشكل. انتشر الملتقى الفكري بين الشباب من الجنسين، وأتخيل السبب الرئيس وراء هذا هو حرص الشباب على قراءة الأعمال والمؤلفات التي قمت بإنتاجها على مدار عشرات السنين، وقمت بالحديث فيها بلغة تلائم الشباب، وبالشكل الذي يصل إلى القارئ مهما كان مستوى تعليمه وثقافته، ومن هنا لم يجد الشباب الصعوبة في استيعاب هذه المؤلفات وما تحويه من أفكار رغم احتوائها على ما يصدم عقولهم من أفكار وآراء غير اعتيادية تحث على التمرد والنقد والاستقراء والشك والجدل. علاوة على شمول وتنوع المؤلفات والكتب بين الدراسات النفسية والاجتماعية حول وضع المرأة فى مصر وفي العالم أجمع وتاريخ الأديان وعلاقات الرجل والمرأة وتشريح المجتمعات والسلطة الأبوية ..إلخ. كتبت أكثر من ثمانين مؤلفا وكنت أفاجأ في كل ندوة وكل جلسة للملتقى بوجود كثير من الرجل والنساء والشباب ممن قرأوا الكثير من مؤلفاتي.

**6- هل لديك أمل كبير في انتشار تيار النقد الفكري والديني والاجتماعي وسط الشباب خاصة بالنسبة إلى المعايير الاجتماعية والثقافية التي تغيرت بعد ثورات الربيع العربي لدى الشباب، هل سيستطيع هؤلاء الشباب في التغلب على التيارات الظلامية والمتطرفة؟**

نعم يمكن للشباب من الجنسين بالوعي وعدم فقدان الأمل واستمرار وتجدد العلم والمعرفة. حينما يعيد الشباب قراءة التاريخ سيجد أن مثل هذه التيارات ومثل هذه الأفكار تحفر قبورها بأياديها، كما أن أفكارها تحوي نقائضها، وحينما يقوم الفرد العادي بدراسة هذه الأفكار بميزان الوعي والواقع سيجد أن لا مكان لتطبيق مثل هذه الأفكار وحُكم وتسيير أمور الناس بها هو محض خيال وضرب من الخرافة وعدم الواقعية والدليل على ذلك التصدي لأدعياء وممثلي هذه التيارات من قبل الشباب وسقوط الأقنعة عن العديد من المشايخ ورجال الدين ممن يدعون الفضيلة اللانهائية المطلقة، فقد اكتشف الشباب بالقراءة وممارسة النقد أنهم كاذبون ومنافقون، ونعم لعبت منصات التواصل الاجتماعي والحركات والتيارات التي تبلورت بعد ثورة ٢٥ يناير وثورات الربيع العربي دورا محوريا في فضح وكشف هذه التيارات، ولذلك أرى أن مثل هذه الصيحات التي ظهرت في الأعوام الأخيرة هي محاريث ستقوم باقتلاع واجتثاث جذور التطرف والإرهاب والأفكار الرجعية والظلامية.

**7- متى تصبح مصر وباقي دول المنطقة العربية دولا علمانية ومدنية لا أثر فيها لكلمة رجال الدين وللخزعبلات وتسود بها تيارات الفكر والعلم فقط؟**

للسؤال محاور إجاباته متعددة، ويمكن أن يكتب فيها مجلدات، ولكن هناك نقطة رئيسية في وجهة نظري يمكن أن تنتشل مصر والمنطقة العربية من أزمتها الفكرية والثقافية، ومن الممكن أن تكون الشرارة الأولى لأن تتقدم مصر سياسيا وثقافيا واجتماعيا في كافة المجالات وذلك عندما تتبدل وتتغير النُخَب في بلادنا، ويأتي غيرها نخبة تعمل من أجل تشجيع الأفكار والإبداع لا تقوم فقط بالاهتمام بتأسيس الطرق وتمهيدها مع كافة السَلطات والمؤسسات الحاكمة، وتعمل فقط من أجل نفسها، وتنسى رسالاتها ودورها وواجبها نحو الشباب وإيقاظ العقول وتشجيعها على التمرد والإبداع والابتكار، حينما يحدث العكس وتأتي هذه النخبة التي نأملها، حتما ستتغير مصر والمنطقة العربية وستتحول إلى دول مدنية وديمقراطية.

# NAWAL SADAWI

**8- في الآونة الحالية هل من الممكن أن تتبلور حركات نسائية جديدة قائمة على الأفكار الجادة التي طرحتها نوال السعداوي في مؤلفاتها إلى كيانات فاعلة على ارض الواقع؟**

الأجيال الجديدة من الحركات النسائية تحتاج إلى المزيد من الوعي والإخلاص لقضايا النساء. وأرى إمكان تبلور وظهور حركات أكثر قوة وتأثيرا حينما يتوافر عنصران: الأول هو عدم القيام بتجزئة قضايا النساء وفصلها عن كافة القضايا الأخرى خاصة الاجتماعية والسياسية والفكرية، أزمة الحركات النسائية الحالية هي الفصل بين قضايا الفكر والفقر والإبداع والتعليم واضطهاد العمال خاصة من النساء. كل هذه القضايا لا يمكن أن تنفرد في الدفاع عن نفسها والعرض لنفسها على حِدة وأتمنى أن تتعلم النساء هذا الدرس الذي ما زال يقع فيه الكثيرون من الرواد والمفكرون والنخبة. والعنصر الآخر، عدم الانتباه لدراسة التيارات النسائية في العالم وعدم التضامن معهم، في حين أن القضية واحدة وتقريبا تنادي كل منهم على حدة بنفس الحقوق التي تعد مسلوبة ومنتهكة في كافة المجتمعات وفي كافة العوالم، ومن هنا أقول دائماً، حينما يتعلق الأمر بقضايا النساء فلا يوجد عالم أول وثان وثالث، فالنساء مضهدات في كل عالم. ومن هنا أصبح تضامن كافة نساءات وحركات المرأة في العالم شيء واجب وضروري إذا أردن تحقيق نتائج إيجابية وفاعلة وإحداث التغيير الجدي على أرض الواقع.

**9- هل من الممكن أن نشهد قريبا حركة فكرية شبابية برعاية نوال السعداوي على غرار ملتقى نوال السعداوي السابق الذي شهد نجاحا كبيرا؟**

لا أستبعد تماما هذا الأمر، وقد صرحت في أكثر من لقاء وكتبت في أكثر من مُؤلَف أنا لا أغلق الباب لأي شيء، وبالطبع يمكن أن تتجدد هذه اللقاءات ولكن تتحسن حالتي الصحية وهو شرط الاستمرار.

**10- ماذا عن المؤلف القادم لنوال السعداوي؟ وهل كتبت نوال السعداوي الكتاب الذي صرحت سابقا أنها لم تكتب المُؤَلَف الذي تستطيع أن تناقش فيه كافة أفكارها بجرأة شديدة؟**

بالطبع لا، لم أكتب الكتاب الذى أحلم بكتابته والذى يتمتع بجرأة أكثر فى النقد واستخدام مناهج أخرى في تفنيد آليات التغيير وتحدى المناطق المحرمة فى التفكير التي يخاف الناس الاقتراب منها، وكذلك وإثارة الأسئلة المحظورة في كافة المجالات.

# التحرش الجنسي
## بين التجليات والتبرير

بوذاع حمودة

### تمهيد:

إن الحديث في موضوع "التحرش" لأمر جلل، ليس لما له من هالة اجتماعية متحفظ عليها فقط، وإنما كذلك لتشعب الموضوع وتشتته على أصعدة عديدة، وبناء على ذلك وجب علينا الإقرار بالزاوية التي يهدف هذا المقال إلى معالجتها وهي "التحرش الجنسي"، ولنكون أكثر دقة نخصص بالكلمتين المفتاحيتين الآتيتين: "التحرش الجنسي على النساء" و"التحرش الجنسي على الأطفال من قبل الرجال".

ولعل أهم الشواهد التاريخية السحيقة التي استحالت نظاما عصبيا للاوعي لدى العديد من المجتمعات والثقافات، هي حادثة الانقلاب الأول على السلطة؛ بحيث كانت تسود مجتمعات أمومية "فيها السلطة للمرأة" ومن سمات ذلك الزمن سيادة المرأة على الأسرة والمجتمع، حيث تقرر للرجل الثورة على ذلك النظام القائم وأخذ زمام السيطرة.

وإذا نظرنا إلى الصراع على السلطة ما بين الرجل والمرأة توجب علينا حينها العودة إلى الجذور التي تشكلت عليها نفسية الجنس البشري، ونميز في ذلك غريزتين أساسيتين، فطر/ اكتسبت لدى الإنسان ألا وهما:

- غريزة الملكية.
- غريزة الخوف.

وما يهمنا في هذا السياق من الحديث هي الأول ذكرا "غريزة الملكية" حيث طالما دأب الانسان على التملك، وأصبحت صفة لصيقة به دون سائر الكائنات الحية، وهنا نعود بالتاريخ إلى أول رجل وضع سياجا على الأرض وقال هذه ملكي، تعنيني ولا تعني أي أحد غيري، وترتب على ذلك من ملك الأرض إلى ملك الثروة، وهنا بفعل غريزة الخوف وهو ما ذكر ثانيا، تقرر للرجل لغايات الحفاظ على ما يملك، أن يمتلك حق النسب، ونظرا لصعوبات تحديد النسب في تلك الحقب من الزمان تقرر لدى الرجل إلحاق المرأة بملكية الرجل، بحيث يمتلك الرجل جسد المرأة وبذلك يمتلك النسب والأرض والسلطة له ولذريته.

## ملكية جسد المرأة:

وبناء على هذه النظرة حيث جسد المرأة ملك للرجل؛ فان هذا المفهوم سيكون المبرر لحرية الانتفاع والتصرف بجسد المرأة بالقدر والكيف الذي يتسنى للرجل، ومن هنا يتجلى لنا أحد أسباب التحرش الأسري على المرأة في ظل مفاهيم العقد والقران والنكاح وما جاورها من المفاهيم التي على أساسها تلحق المرأة بالملكية المطلقة للرجل، ومن ذلك تسنى أن المرأة ملك للرجل، والتعرض للمرأة ليس مساسا بحرمة شخصها، بل مساسا بحرمة المتصرف فيها، ومنه فإن التعدي يكون حاصلا إن كانت الزوجة ملحقة بسلطة رجل معين، ولعل هذا يبرر سبب التحرش على النساء العزل أو غير المتزوجات، بحيث إن المنطق الفكري السابق لا يمنع ذلك لأنه لا يجرم الاعتداء على جسد المرأة بقدر ما يجرم الاعتداء على ملكية وحرمة الرجل، ولعل في هذه العلة تجلت مفاهيم القوامة، والمحرم، وولي الأمر

## الوضعية الدونية للمرأة:

وكتجليات لما سبق وأشرنا إليه من إلحاق جسد المرأة بالرجل وفي ذلك أبعاد لما تم بعد ذلك من إلحاق روح المرأة، وشرفها، وقيماها، وأخلاقها بالرجل، تولد عن ذلك "دونية" للمرأة إذ أصبحت مجرد جسد مملوك، تنصل من مفاهيم الإنسانية بحيث قراره ليس من يده، وأخلاقه ليس من قناعته وهكذا دوليك، أصبح لدى المجتمعات طبقتان واسعتان قائمتان على التمييز على أساس الجنس، ذكرت الأولى فصارت السيدة السادية التي بها يحكم ويسير ولها يسخر الثانية التي أنثت، (تلك الفقرة محتاجة إعادة صياغة لإيضاح الفكرة) وبناء على ذلك أصبح من تداعيات هذه العلة أن الميز الطبقي على أساس الجنس يخول للسامي أن يتنمر ويعتدي ويتحرش على الدوني، وفي ذلك شؤون ومشارب، ومنه أصبح التحرش بما ليس مملوكا ومن خرج عن سرب منطق الطبقية الجنسية شيء ليس بالجلل، ويمكن حتى اللوم على الدوني "المرأة" بمبررات؛ انتفاء العفة، الحرمة، التبرج... وغيرها، وهنا يصبح الجلاد ضحية مجلوده وينتفي العقل والمنطق ويطغى الفكر الذكوري القائم على السيادة والملكية والسمو.

## الطبقية مبرر للتحرش

سبق وأشرنا إلى ذلك في النقطة السابقة إلا أنه ولما لهذه النقطة من أهمية وجب علينا التوسع في عللها، حيث طالما كان يعامل العبد بدونية ويتحرش بالأمة تحت غطاء السمو فالعبد في خدمة سيده، وكذلك نشير إلى الطبقية التي سادت على أساس اللون حيث الأسود دوني، والدوني يُملك، والملكية يتجلى منها الانتفاع وبذلك يبرر الانتفاع بجسد المرأة السوداء من قبل السيد الأبيض، وأن يستنفع بجسد الرجل الأسود في العمل والكد خارج البيت، وكذلك وفي الاتجاه المعاكس انتفاع المرأة البيضاء بجسد الرجل الأسود فليس في ذلك حرج لأن الأسود مملوك والمملوك بغير كرامة، وتستنفع المرأة البيضاء بجسد المرأة السوداء بكدها وعملها في البيت والتسيد عليها، قد تكون كل الأمثلة سابقة الذكر منتفات بسبب نضج مفاهيم الإنسانية والمواطنة في عصرنا، إلا أنه بالمنطق نفسه وبالكيف نفسه والممارسات لا زالت تمارس الطبقية الجنسية على جنس المرأة ولازال ينظر إليها كملكية يستنفع بها ما يبرر التحرش وفي العديد من بلدان وشعوب العالم ذلك قائم.

# الجوع الجنسي كعلة ومن تجلياته
## التحرش بالمرأة والطفل القاصر

في الخوض في غمار التحرش، يتوجب كسابق ذكر الإشارة إلى الإحصائيات التي تحصيها المؤسسات والمنظمات ذات العلاقة، والغريب في الأمر ليس المؤشرات المرتفعة لعمليات التحرش الجنسي لدى كل من النساء والأطفال، بل المتأمل في تلك الأرقام وفي توزيعاتها الجغرافية يتفطن إلى أن أكبر النسب تتوزع في المناطق الجغرافية التي شعارها "مجتمعات متحفظة" و"مجتمعات متخلقة" ونذكر في ذلك أنموذجي الدول المغاربية والدول العربية التي تنتميان إلى المحور النمطي نفسه في التفكير، وعلى الرغم من ذلك إلا أن الإحصائيات في مثل هذه الدول غير دقيقة لنواح عديدة نذكر منها على سبيل الإشارة لا الحصر؛ نقص مؤسسات الإحصاء في الشؤون الاجتماعية، طبيعة مثل هذه الظواهر لا يدلى بها إلا ما ظهر.

وبالنظر إلى طبيعة هذه المجتمعات نرصد التحول الذي طرأ عليها بعد ما يعرف "بالصحوة الاسلامية" حيث تنامت أحزاب الإسلام السياسي وما تجلى عن ذلك من رموز أسلمة الدولة والشارع، على غرار الحجاب والفصل بين الجنسين، وفي ذلك توجب أن نعالج موضوع الفصل بين الجنسين وما ترتب على ذلك من كبت جنسي لدى الجميع وبحكم المرونة الأخلاقية التي يتمتع بها الرجل في هذه البلدان حيث لا يعاب على "الممارسة الجنسية" بل يقدر لما في ذلك من إثبات "للفحولة"، وهذا ما جعل من الرجل في هذه المناطق جائعا جنسيا لما من سياسة الفصل من تأثير في ذلك، وكذلك الظروف الاقتصادية والسياسية ما يجعل من الأزمة تتفاقم ومع توريث ذلك لأجيال تكون لدى مثل هذه الشعوب ثقافات جنسية قائمة على المطاردة حيث الرجل بسعيه الحثيث لاستمالة المرأة وفي ذلك انحرافات، ليصبح الرجل بإرغام نفسه على جسد المرأة، وبالربط مع ما سردناه سابقا حول "دونية المرأة" ومسألة العيب اللصيق بها صار الدفاع والإفصاح عن التحرش ذنبا لها وليس بالمتحرش، ما أعطى ذلك دفعة لهذه الأزمة أن تتفاقم إذ أصبح التحرش "طابعا اجتماعيا" وفي ذلك درجات: فتحرش بالعين، وتحرش بالقول، وتحرش بالقول القبيح، وتحرش باللمس، وتحرش بالاغتصاب وتعدي حرمة الجسد. وتجليات الجوع الجنسي، وسياسة الفصل الذي يزيد في الاحتقان جرعة، أصبح هناك ظواهر بالتحرش على الأولاد الصغار القصر من جنس الذكر والأنثى، وأغلبها من دائرة ذوي القربي والإحصائيات تشهد على ذلك؛ وللباحث المتحقق في ذلك العودة لإحصائيات منظمة اليونيسكو، والعفو الدولية، هيومن رايس ووتش وغيرها العديد من المنظمات، وبالعودة إلى ما سبق من تعدٍّ على الأطفال من ذوي القربى قبل الغرباء من آثار الكبت الجنسي والفصل بين الجنسين، وكذلك نشير إلى ظاهرة في غاية الخطورة ولما لها من أهمية ندرجها سببا.

## المعصية في المجاهرة تدان

كما أن المهتم في الشأن الاجتماعي لدول الشرق الأوسط ودول شمال افريقيا ومنظماتها القيمية والاجتماعية، يلاحظ أن مفهوم العيب والخطيئة ليس مرتبطا بالفعل نفسه، فهذه المنظومات لا تدين التحرش أو الزنا أو الاعتداء أو السرقة كأفعال تخل بالموازين القيمية، وإنما تجرمها فقط إن مورست في الأوساط العمومية أو تم الجهر بها أو تم كشفها للعلن بطريقة أو بأخرى، وفي السياق الموضوعي نستهدي إلى أن التحرش ظاهرة متفاقمة ومنتشرة في الأوساط العمومية أو الأسرية بشكل كبير، ولعلها تصل إلى كونها سلوكا اجتماعيا، نظرا إلى الازدواجية في معايير الحكم الأخلاقي فهو يختلف من حيث مكان الممارسة إن كان في فضاء عمومي أو في وكر منعزل، أو في وقت ممارسته، أو في ممارسه فليس العيب في تحرش المسؤولين أو ذوي السلطة بالقدر الذي يلتبس العامة.

## الحقوق الافتراضية للرجل

إن الرجل يعيش في مجتمعاتنا بحقوق افتراضية لا تتواجد سوى في أذهانهم، متفق عليه ولكن لا يصرح بها، وهذا ما ربطناه في السابق بالازدواجية الأخلاقية، إذ للرجل الحق في السيادة، التسلط، الانتفاع بجسد المرأة، الحرية الجنسية فلا شيء يعيبه لأن شرف الرجل ليس في سلوكه أو جسده إنما في سلوك حرمه وأجسادهم، وإمتاع جسده حق لا ينازع فيه، سواء كان ذلك في عقد الزواج أو في المناكحة أو الاغتصاب، أو التحرش بالمرأة أو القاصر، وكل هذا لا تعدو كونها مجرد حقوق طبيعية أنعم عليها اللّه على الرجل، فالأمثال الشعبية تبرر له ذلك، كون الرجل لا يستطيع التحكم في شهوته، وأن المرأة المتبرجة هي بدورها تدعو للتحرش بطريقة مشفرة واللوم عليها، فما بالها تثير الرجل ثم ترفضه، ما بالها تتعطر أوليس لإثارة الرجل، وما بالها لا تلبس الحجاب أليس لدعوة الرجل للجنس، وما بالها تخرج من بيتها في الأساس أليس لإثارة الرجل... وغيرها من المفاهيم قد ينكرها كل من تحاوره بشكل قطعي ويكفرها ويصفها باللاأخلاقية لكنها وفي العقل الجمعي اللاواعي هي ممارسة مبررة.

## اللوم على الضحية

ما يفاقم ويأزم ظاهرة التحرش أكثر في مجتمعاتنا هو إلقاء اللوم على الضحية، إذ إن المتحرش به يهان ويلتصق به صفة اللاأخلاق ويعنف لكونه السبب، فالرجل لا يعاب "وهذا ما أشرنا إليه سابقا"، وهذه علة يتجلى منها خنوع لدى المتحرش به يمنعه من الدفاع عن نفسه أو التصريح بما أصابه لأنه في نهاية المطاف سواء كان امرأة أو طفلا قاصرا سيكون اللوم عليه والمجتمع لن ينصفه بل سيحمله المسؤولية، ومنه يصبح ملاذ المتحرش به السكوت، وهذا لا يتجلى عنه تدمير نفسي للضحية فقط بل يزيد من انتشار ظاهرة التحرش، فالمفترس الذي لا يردع يفترس أكثر، والضحية التي لا تقاوم ولا تدافع عن نفسها إنما تفتح الطريق لنظرائها لأن تفترس... وكل هذا بتواطئ العائلة والأسرة، والعشيرة والمجتمع، ليس لشيء إلا لأن الجميع محكوم بنظام طبقي أبوي غاشم.

## ختام:

بغية محاربة ظاهرة التحرش لا بد من التشخيص الدقيق للعلل والتجليات المقترنة بالظاهرة، وأن يتوقف الرأي العام على معالجة الظاهرة على أساس أنها ترف حقوقي أو الحديث عنها في سياق الطابوهات الاجتماعية والأهم من ذلك الكف على لوم الضحية، كما أنه لا بد من السعي لمحاربة هذه الظاهرة التزامن في النضال على الصعيد الحقوقي والمنظومات القانونية وكذلك على الصعيد الاجتماعي، والأهم من ذلك هو السياق الاجتماعي، لأنه حجر الأساس فيه المفتاح للقضاء على الظاهرة جذريا لأنه ما من قيمة لأجمل القوانين وأكثرها عصرية إن كانت الذهنيات الاجتماعية غير محدثة وغير ناضجة لمثل هذه القوانين، ولعل هذا ما يلام على الجمعيات النسوية وجمعيات حقوق الانسان والمرأة "مع تحفظ على المصطلح الأخير" كونها ركزة كل جهودها على الصعيد القانوني والسياسي وأهملت الشق الاجتماعي.

# عــن التحرش وأسبابه الظاهرة

أحمد البحر

قبل أسابيع قليلة، أثارت أغنية "سالمونيلا" جدلًا واسعًا في مصر، لتطرقها لموضوع شائك وبالغ التعقيد، ألا وهو المعاكسة وظاهرة التحرّش بصفة عامة، وما أعقبها من تبعات وردود فعل متباينة، لاسيما الهجمة الشرسة التي قادتها النسويات، وقولهن إن الأغنية تدعو لازدراء المرأة ومضايقتهن، مما يؤدي لاستفحال الظاهرة حسب وصفهن. وبما أنها سيرة وانفتحت فسنخوض في هذا الموضوع مُسلطين الضوء عليه، خصوصًا أن ظاهرة التحرّش عالمية، وليست مقتصرة على منطقة أو مجتمع معين.

## تعريف التحرّش

ثمة ضبابية تحيط بمفهوم التحرش، مما أدى أدى إلى خلط كبير لميوع مفهوم التحرش، فهناك تحرّش لفظي، وهو ما يعرف في اللهجات الدارجة بـ"المعاكسة"، وهناك تحرّش جسدي وهو ما يشمل: "اللمس غير اللائق، والعناق والتربيت على اليد، والظهر والكتف"، وهي أفعال لا تتخذ طابعًا جنسيًا. وتكمن الإشكالية في الخلط حول تعريف التحرّش وتباين مفهومه من شخص لآخر ومن امرأة لأخرى. ومما يزيد الطين بلّة أنّ أحكام الناس متباينة إلى درجة بعيدة، فما تراه إحداهن تحرشًا لا تراه أخرى كذلك، مما يعني أن تهم التحرش تعتمد على مزاج ومدى حساسية الأشخاص وليس مقيدًا بقيود قانونية. بالتالي تصاعدت الخشية بين الرجال من التقرب للنساء بهدف التعارف، إلى استنكار الجمع بين الغزل بمختلف أشكاله وأفعال التحرش في سلّة واحدة، لكن يمكننا القول إن الرجل لا يعد متحرشًا، إلا إن أصر على التقرب من المرأة رغم ممانعتها.

## أين مكمن الخلل؟

عودًا على بدء وأقصد أغنية "سالمونيلا"، ويعني هذا الاسم الغريب للأغنية أحد أنواع البكتيريا، أما كلماتها فتدور حول شاب بائس يتحدث لفتاة تُظهر ممانعة، فينفجر غاضبًا رافضًا موقفها، هذا الجدل الذي أثارته الأغني ة، وأن بإمكانها إفساد أخلاق الشباب وتشجيعهم على المزيد من التحرش، يبدو هذا

الزعم غير موضوعي البتة، أتذكر بهذا الصدد ما قاله علي سالم –مخرج مسرحية مدرسة المشاغبين– عندما أخبروه أن مسرحيته قد أفسدت أجيال وراء أجيال، فأجاب عليهم: "بسيطة، إذا كانت مسرحية واحدة زي مسرحيتي قادرة تبوّظ أجيال، يبقى كويس اكتشفنا الحل، نعمل مسرحية تانية تربي أجيال". رد مقنع للغاية، وإجابة مبطّنة مفادها بأن المشكلة أعمق من أن يتم تسطيحها بهذه الصورة، وبالمثل فظاهرة التحرش الجنسي في مصر خاصةً والعالم العربي عامةً لن تزيد أو تنقص بفعل أغنية، فالموضوع أكثر تعقيدًا من ذلك، وله تشعّبات مرتبطة بتدهور المنظومة التربوية والأخلاقية، وانحدار مدوِ للقيّم والذوق من جهة، كما أن الكبت وكثرة تابوهات المجتمع وتردي الحالة الاقتصادية، تلعب دورًا مهمًا أيضًا في شيوع هذه الظاهرة وتفشيها بشكلٍ مخيف من جهة أخرى، للدرجة أن ٩ مصريات من أصل ١٠ تعرضن للتحرش!

## هل التحرش مرض ذكوري؟

على ما يبدو أن هذه الظاهرة تزيد في المجتمعات الذكورية، أو المجتمعات التي يتفشى فيها الظلم والقهر الاجتماعي، كما أن التابوهات وقيود المجتمع المتمثلة بثقافة فصل الجنسين، تلعب دورًا بارزًا في شيوع هذه الظاهرة، ولأن الجنس تابوه في المجتمعات الشرقية، فعدم الحديث مع الصبيان قبيل المراهقة عن هذا الموضوع تحديدًا، وعدم إفهامهم ما يحدث لأجسادهم من تغيّرات، هو أحد أهم أسباب التحرش، وهو مرض ذكوري في الغالب، وأحد أسبابه المهمة هو ما يمكن تسميته (خَرَس الأباء)، وعدم فتح الموضوع مع الأبناء بعكس ما يحدث بين البنات والأمهات، لذا تمر البنات بالمراهقة دون مشاكل كبرى، بينما يمرض الكثير من الصبيان بهذا المرض اللعين.
في حين أن الدراسات العلمية لها رأي مختلف تمامًا، وتؤكد بحسب تجارب ميدانية أن التحرش هو ظاهرة ذكورية بحتة، ولا علاقة بالجنس أو الكبت، وأن التحرش في أصله فعل لإثبات القوة، أو بمعنى أدق لقهر الضحية.
ونتائج هذه الدراسات خلصت إلى أن التحرش لا علاقة له بالإشباع الجنسي، ولا حتى نوع المتحرش (ذكر أو أنثى) وعلى سبيل المثال لا الحصر: في منتصف القرن الماضي في أمريكا،

عندما النساء بدأن يأخذن مواقع مهمة في العمل، والأنثى أصبحت مديرة حالها كحال الرجل، وجدوا أن حالات التحرش بالرجال زادت، لأن التحرش يحصل عادةً من رئيس في العمل لمرؤوس في العمل، أيًا كان من فيهم سواءً رجل أو امرأة. أي التحرش يحدث من أحد مستقوٍ بنفسه، على أحد ضعيف، لأنه لغرض إشباع الشعور بالقوة، بالتالي يمكننا إسقاط هذا المثال على المجتمعات التي تغيب عنها العدالة الاجتماعية، فها هو رجل مقهور في كل شيء ومُستلب من حقوقه، مديره في الشغل ينهره، بينما الحكومة تتسلط عليه، مما ينتج لدينا مواطنا مقهورا ومكسورا، فشل في تحقيق أي انتصار في حياته، أو أي شيء يشعره أنه "قادر"، فيستقوي على من هم بشاكلته، المقهورين المضطهدين، أيضًا أضعف منه جسمانيًا، النساء بطبيعة الحال.

## تلّطخ السمعة بسبب التحرش

استفحال ظاهرة التحرش في بلدٍ ما، يكسبه سمعة سيئة ويجعل الناس ينفرون منه، مما يوثر سلبًا في قطاع السياحة، ووفقًا لما نشرته جريدة الإندبدندت عن الدول التي لا يريد القراء زيارتها إطلاقًا، والأسباب متباينة، جاء التقرير على ذكر بعض الدول العربية التي تزداد فيها ظاهرة التحرش، واختلفت أسباب عدم التفكير في زيارتها، بين دولةٍ وأخرى:

- السعودية ولبنان، كان السبب هو الفضاضة والفجاجة مع الأجانب.
- العراق واليمن، بسبب الحروب.
- مصر والمغرب، بسبب التحرش الجنسي.
- أما تونس فقد انفردت، بسبب خاص وهو (موقف الشعب من السياح).

## خاتمة:

إذا ما أخذنا بعين الاعتبار، أن "الكبت الجنسي" أحد أهم أسباب شيوع ظاهرة التحرش، في المجتمعات التي يكثر بها التابوهات المحرمة في المقابل هناك مجتمعات أخرى يوجد بها مناخ صحي، وأتحدث عنها من باب الفضفضة والعلم بالشيء، لا من باب طرح الحلول. أن في تلك المجتمعات التي لا تفصل بين الجنسين، فالشباب والفتيات في مرحلة الجامعة يمارسون الجنس لغرض العملية الجنسية من دون حمل أصلًا، والأب والأم لا شأن لهما في اختيارات الشباب، فالولد والبنت يمارسان التجربة من غير خوف ولا تحمّل أعباء أو مسؤولية أسرة، أو حتى مسؤولية الشراكة الممتدة.

وممكن جدًا أن ينهيا علاقتهما في شهر، ويختاران من جديد وهكذا، ممارسة حقيقية، والناس هناك تختبر الحياة بعد الجامعة وتشتغل وهي أقل توترًا، وعندما الفرد يختار تكوين أسرة مستقبلًا –مستقبلًا لا يعني العشرينيات من العمر– لأن من النادر جدًا أن يتحمّل مسؤولية منزل وإنجاب أولاد وهو في هذا السن الصغير. فيكون الاختيار المستقبلي هو الاستقرار النفسي والعاطفي، وله حسابات أخرى غير السرير، وبعيدًا عن حسابات الأهل وشروط المجتمع، وليس كمجتمعات شرقية يضع والد الفتاة رجلًا على رِجل، ويشترط في بيع ابنته كقوّاد يتاجر في لحم رخيص، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: "هل مجتمعاتنا عندها من الجرأة لفتح نقاشات في موضوعات كهذه، قبل أن نتحدث عن العنوسة وتأخر سن الزواج، أو أن نشتكي من التحرش وتردي الأخلاق؟"

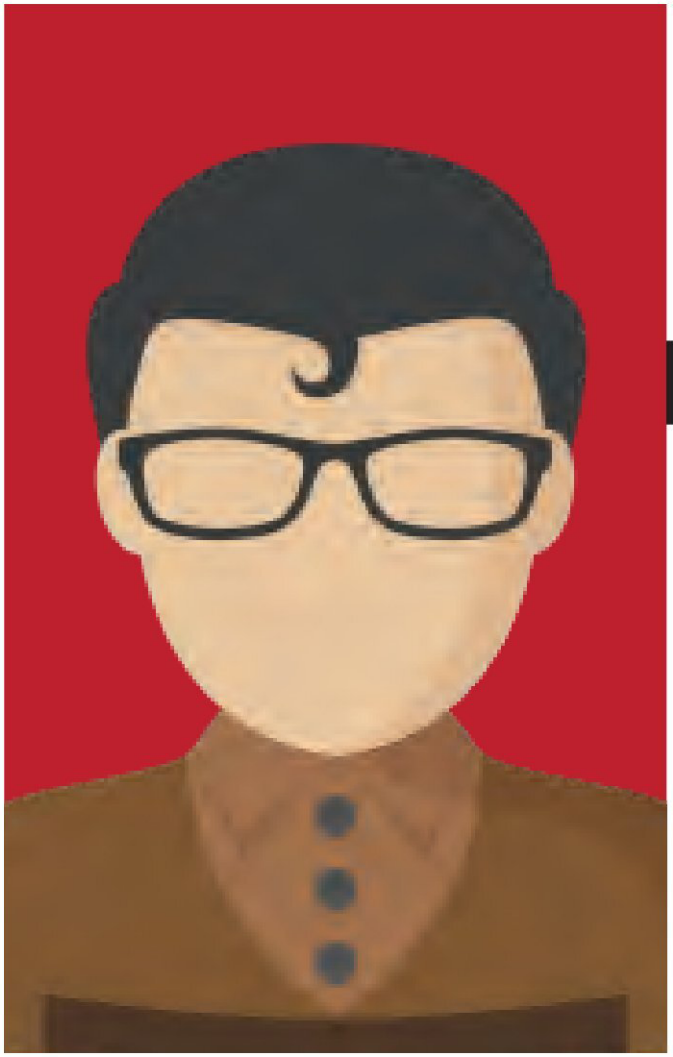

# لعنة الأنوثة في المجتمعات العربية والإسلامية

أوزوريس

سبعة مليارات من البشر، هذا الرقم المهول يعيش إلى جانب مليارات من الحيوانات الأخرى مأزق الوجود الذي يزداد بؤسه مع ازدياد متطلبات الحضارة و الصراع بين عناصرها، و الأكثر تأزماً منها هو وجود كائنٍ دوني الاعتبار في هذا المأزق الذي يزيده البشر بؤساً بشغفهم في التكاثر تحت وطأة الفوضى الإنسانية في الكوكب، في هذه الفوضى العالمية تقع المنطقة العربية والإسلامية كقطبٍ رئيسي يغذي هذه الفوضى ويحميها ويزيد من فداحة مأزق الحياة ويجعل من الأنثى في مجتمعاته الكائن الأكثر دونيةً في هذا البؤس المشترك، والذي نعاين فيه شكلاً بسيطاً من أشكال معاناتها.

## ظاهرة التعنيف

أحذية النساء المعلقة على جدران إسطنبول تبعث على الفزع من هول إحصائيات جرائم القتل بحق المرأة التي أضحت ظاهرة اجتماعية مشهورة في دولة هي رائدة العلمانية في المنطقة. الكم الهائل من جرائم الشرف وحوادث التعذيب التي خرجت للرأي العام مع تنوع وتقدم وسائل التواصل الاجتماعي في العقد الأخير يكشف جزءا من هول الظاهرة التي أصبحت ممارسة اجتماعية من الطبيعي سماعها. امتلأت الذاكرة العالمية بكثيرٍ من الأسماء والحوادث، زوج أردني يقتلع عيني زوجته وآخر يمني يعذب زوجته حتى الموت، عائلة فلسطينية تتناوب تعذيب ابنتها حتى تنفق، سوريٌ يفرغ خزنة بندقيته في جسد أخته، يمني يردي ابنته، عراقيٌ يطهر عائلته، وآلاف الحكايا التي تبقى حبيسة جدرانٍ أربعة تلملم داخلها أنثى ما شتات آلامها وتبلع لعنة الأنوثة.

اختلاف الأسباب وتعدد الدوافع تتداعى جميعها لانتشار هذه الظاهرة، أو بالأحرى القول توحد الممارسة، فهي ليست وباءً عارضا على المجتمع العربي والإسلامي وإنما مكونٌ أصيل من مكونات الهوية الاجتماعية والثقافية التصق بها منذ زمنٍ طويلٍ جداً وهي مستمرة الحدوث ما دامت تشكل جزءا من التكوين الانتمائي للفرد. الظاهرة أيضاً تحمل تفسيرا للنظرة الاجتماعية والثقافية للأنثى في هذه المجتمعات والتي تشخص بدورها الاستعدادات الجمعية لهكذا ممارسات بحق المرأة.

## أسباب خلف الظاهرة

توزيع الأدوار الحياتية والتصنيف المجتمعي لدور كلٍ من الذكر والأنثى يقف كسببٍ تراتبي من أسباب الظاهرة من حيث النظرة الدونية للأدوار التي تقوم بها المراة في هذه المجتمعات وبالنتيجة دونية المرأة نفسها. بالإضافة إلى إيكالها بأمور الخدمة المنزلية وترفع الذكر عن القيام بهذا الدور أو المشاركة فيه انتقاصا منه يحصر حقل المرأة في هذه الأدوار التي تترك في الخلفية الثقافية فكرةً عن انتقاص دورها ونقص شأنها كحقيقةٍ تكوينية لا بحسب الدور الذي تقوم به و هو ما يحدد دورها نفسه. ولذا فإن أغلب المجتمعات العشائرية والقبلية كالعراق واليمن ودول الخليج تنظر في أمر تزويج أبناء العائلة كاستقدام خادمةٍ جديدةٍ في الأسرة أو جاريةٍ تسهر على خدمة الذكر ودمية يفرغ فيها شهوته الجنسية.

هذا الدور والنظرة الدونية للمرأة له عمق دينيٌ أيضا ترسخه الموروثات الدينية للأديان الإبراهيمية في تكوين المفهوم الاجتماعي حول الأنثى من قصة خلقتها وأحكام الطهارة الخاصة بشأنها وتفسير اختلافها الفيسولوجي عن الذكر، ناهيك عن القوانين التي تشرعها بشأن تفاوت الحصص من الميراث وتفاضل الذكر عليها فيها إلى جانب عدم مساواتها للذكر في الشهادة. بخلافالدية أو التعويض عن مقتل المرأة هو الآخر أقل من تلك التي يحتسبها الشرع والقانون للذكر، وبلغةٍ أخرى أكثر قسوةً يمكن التعبير عن الأمر أن ثمن حياتها أرخص من ثمن حياة الذكر. إلى جانب ذلك فإن الوصاية الدينية والولاية التي توجبها الشريعة على المرأة يعتبر نوعا آخر من صكوك الملكية التي يهيمن فيها الذكر وتقيد المرأة به عن إرادتها وتلغى كل الخيارات من أمامها. ومع كل هذا فإن فلسفة الإخضاع التي ينتهجها الدين في تحديد العلاقة بين الرجل والمرأة في قياس الزوج بمرتبة الألوهية والزوجة كالعبد للرب والذي يعتبر معيار قياس فضيلة وصلاح الأنثى من فسادها وفسقها في المنظور الاجتماعي ككل تجرد المرأة من أي غطاءٍ يحميها أمام صلافة الذكورية حتى عائلتها. الدور الديني هذا في توزيع الأدوار الجندرية والتشريعات المتعلقة بالمرأة يرسم النظرة الثقافية والاجتماعية في المجتمعات العربية والإسلامية حول المرأة والتي بدورها تتسامح بل وتبرر أحيانا لممارسة العنف بحقها.

المرأة في هذه المجتمعات مجرد مقتنى آخر من مقتنيات الذكر تبرر له حق التصرف الحر بها، و هذا المعنى و إن كان متواريا خلف العلاقة الزوجية إلا أنه التفسير الحقيقي للعلاقة. حتى المهر، الثمن الذي يدفع للمرأة ووالدها لقاء نقل الولاية عليها وتسليم الطوق للزوج بعد أن كان في يد ذكور العائلة هو عبارةٌ عن عقد بيعٍ ونقل ملكية مع شرطٍ جزائي يعيد هذا الثمن للزوج في حال عدم خضوع المرأة ورفضها للبقاء ضمن أملاكه ومقتنياته. يمكن النظر للعقد الزوجي في هذه العلاقة عملية اتجارٍ بالبشر تمارسها المجتمعات العربية والإسلامية بفخر، وكما للمالك حق التصرف في ملكيته فإن أي نوعٍ من المعاملة ينتهجه الزوج مع زوجته يعتبر مبررا و مدفوع الثمن مسبقا.قد يُنظَرُ لهذا الكلام بأنه تحاملٌ وتهويلٌ ولكنه نظرةٌ لما تحت الدثار ووصفٌ قاسٍ وبارد لجزئيات المركب الذهني للمجتمع. بالطبع يمتعض البعض في هذه المجتمعات من بعض حوادث العنف تجاه المرأة ولكنه يؤمن بصلابةٍ في فضل هذه المظاهر التي تعتبر استعداداتٍ جمعية لحدوث مثل هكذا ممارسات وسلوكيات أصبحت ظاهرة. هذه المظاهر الاجتماعية والرؤى الثقافية والدينية تجاه المرأة هي ما يشكل الوعي الجمعي بدونيتها ضمنا وإن كان الجميع يرضي نفسه بالتعبير القائل بأن ذلك تكريمٌ لها عن بقية نساء الأرض. إنها دونيةٌ ضمنيةٌ ظاهرة مهما كانت أغلفتها الثقافية والدينية تسلم رسن النسوة لهيمنةٍ ذكوريةٍ مفرطة تصل بالأمر حد تدجين النساء في صورةٍ أصبح فيها من الثعب في معظم هذه

المجتمعات إقناع المرأة أنها ليست بتلك الدونية أو توعيتها بالنظرة الاجتماعية تجاهها، والذي يجعل من هذا الأمر وحده جريمةً إنسانية لا تقل عن الأنظمة الحكومية الشمولية التي تدجن مجتمعاتها، بل قد يشخص الأمر أن المجتمع أكثر إجراما لحدوث مشاركةٍ جمعية في عملية مسخ الهوية الإنسانية والوجودية للمرأة.

## المرأة و الجنس

التفسير الشعبي لجوهر المرأة هو أنها ثقب أسود نهم لا يكتفي جنسياً أو لا يقدر على التحكم بحاجاته الجنسية، هذا فضلاً عن عدم اعتبارها حاجاتٍ من أساسه. قدم ماسلو تصوراً علمياً للاحتياج عند الإنسان في ما يعرف بهرم ماسلو، و قد جعل الحاجات الفسيولوجية في قاعدة هرمه كأهم هذه الاحتياجات الطبيعية والتي يعني عدم إشباعها في مرحلتها العمرية وكبتها يعني ظهور سلوكٍ مفرطٍ في تحقيقها مستقبلاً إن لم يكن إشباعها بطرقٍ سيئة وغير قانونية قد تهدد الفرد والمجتمع. الجنس إلى جانب عمليات العيش الجسدي من غذاء وشراب وتنفس وإخراج وتوازن هي هذه الحاجات الفسيولوجية في قاعدة الهرم والتي تعتبر أيضاً مهمةً لتحقق بقية الحاجات. فرويد والمدرسة المعرفية لعلم النفس هي الأخرى تعزو السلوك الإنساني لحاجاتٍ غريزيةٍ جنسية وأن مجمل السلوكيات السيئة هي في الأساس عائدةٌ لحاجاتٍ جنسيةٍ مكبوتة تخرج في صورةٍ مدمرة ما دامت مقموعةً و مكبوتة.

الكثير من الحديث العلمي قبالة ذلك التفسير الشعبي، و اللذان لا يلتقيان طبعا، إلا أن المشكلة هو محاولة تطويع التجربة والنتيجة العلمية التي تبنى عليها هذه الحقائق أو رفضها البتة، ولكن لا يحرم العرب والمسلمون أنفسهم من رفاه وخير البحث العلمي سواءً في عالم الطب والعلاج أو الدواء، ولكنهم يتعاملون معه بانتقائيةٍ أيضا حين يتحدث العلم عن الجنس و النفس البشرية.

مشكلة الجنس في هذه المجتمعات لا تتعلق بالمرأة فقط وإنما بالذكور أيضاً، ولكن المرأة العربية أو المسلمة هي الحلقة الأضعف في هذه المشكلة. "ليس للمرأة إلا الزوج أو القبر"نفس العبارة الحكيمة في المنطق الشعبي لهذه المجتمعات تحمل التوصيف الجنسي للمرأة من حيث وحشيتها الجنسية التي تحتاج لسترها بذكورة رجلٍ ما سريعاً أو أن الموت هو الستر الآخر لها، وبالطبع الكثير من هذه المجتمعات تتخذ تدابير احترازية لكبح جماح الأنثى من ختان النساء إلى فصلها التام عن أي اختلاط أو علاقة مع الجنس الآخر في معظم المكونات الاجتماعية وخصوصاً العشائرية منها، بحيث تصبح عضواً غريباً حتى على أفراد العائلة والأقارب نفسهم.

هذا الفصل العنصري يبني الشخصية المهزوزة الحيوانية لدى الأنثى العربية أو المسلمة ويجعل منها فرداً ضعيفاً ومنكسراً أمام السطوة الذكورية في الأسرة والمجتمع وما يلحقه من تأثيراتٍ تصل لمشاركتها في سوق العمل و كفاءتها فيه أمام الذكر، هذا إن سنحت لها فرصة المشاركة طبعا. الأمر الأكثر غرابةً هو قدرة الدين على إقناع هذه المجتمعات بعدم أهمية فهم النفس البشرية وهذه الاحتياجات والغرائز وشيطنتها في أذهانهم، والذي بالطبع يجعل منها أكثر المجتمعات التي تعاني من مشكلات الاغتصاب والتحرش والعنف وتحقق أعلى نسب المشاهدة للأفلام الإباحية عالميا في تحقق لتفسير سيجموند فرويد لهذه الظواهر كنتائج منطقية لكبت الحاجات الجنسية و غريزتها.

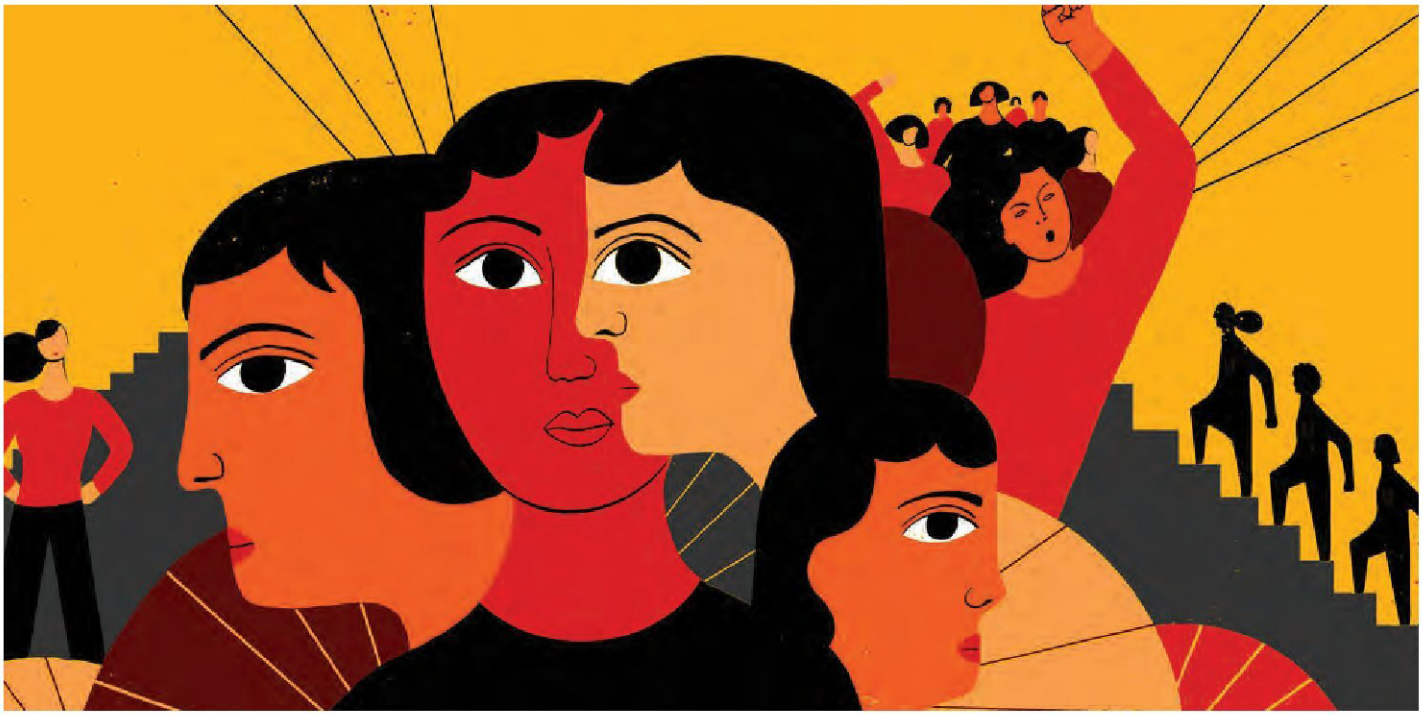

## الموقع الجنسي للمرأة في المجتمع

على كل حالٍ يمكن توصيف موقع المرأة جنسياً في المجتمعات العربية والإسلامية وفقاً لموقعها في مجموعة من العلاقات الاجتماعية المختلفة كالعائلة والزواج وأيضاً التفسير الاجتماعي والديني للأخلاق والفضيلة والشرف.أما عائلياً، الأم العربية أشبه براهبة تحرس عذرية بنات الدير، ومدى قدرتها على قمع شهوة فتياتها وحرمانها من أي صور إمتاعٍ ذاتي حتى نقل ملكيتها للزوج باعتبار ذلك ضمانا إنتاجيا هو مؤشر نجاحها في دور الأمومة في الثقافة العربية والإسلامية. وكما هو الحال اجتماعيا لا يمكن التسامح مع أمر إقامة المرأة لعلاقةٍ جنسيةٍ خارج الزواج أو خيانةٍ زوجية كان القمع الاجتماعي والثقافي لحاجاتها الغرائزية هو السبب فيها بينما يتم التسامح مع الذكر وعدم وصمه بالعار، فالعائلة أيضاً في الغالبية العظمى من هذه الصور تنهي الأمر بتطهير العائلة حد وصفهم للأمر من الأنثى –أي بقتلها– بينما يتم التسامح مع الذكر ببساطة إذا ما ارتكب الأمر ذاته. والسبب خلف ذلك دينيا وثقافيا يرجع لربط مسألة الشرف بالجنس وغيره من المفاهيم الفضفاضة المعنوية التي تقرر مصير الشخص الوجودي.

أما في العلاقة الزوجية فكثيرٌ من النساء لا يحققن الرضا عن المعاشرة الجنسية ضمن العلاقة فتتأكد لدى الذكور مفاهيم الثقب الأسود النهم، بينما أن الأمر هو أنها طرفٌ ضعيفٌ شخصياً في العلاقة وتربى على عدم البوح أو التعليق على هذه الأمور أو الخوض فيها فيصعب على المرأة الحديث مع الزوج عن طريقة إرضائها وتتحرج الحديث عن أن رغباتها الجنسية ومشاركة الخبرات مع الأخريات، وحتى لو أن امرأةً ما في حالات نادرة تصارح زوجها، فإنه تبدأ تساوره الشكوك حول ماضي زوجته، ما يضعها في مأزقٍ أسوأ من عدم الرضا عن العلاقة الجنسية ضمن الزواج. إضافةً لذلك، انعدام وجود تجارب جنسيةٍ سابقة قبل الزواج يوصل المرأة والرجل إلى اختيار الشخص المناسب على المستوى الجنسي هو سببٌ لهذه المشكلة، كما يوضح أيضاً عدم اهتمام الوعي المجتمعي بأهمية إرضاء المرأة جنسياً كما هو بالنسبة للذكر. في الحقيقة، الحديث يطول وذو شجون، ولكن يمكن وصف المشكلة باقتضابٍ هو أن الأنوثة أقسى اللعنات بعد لعنة الوجود في المجتمعات العربية والإسلامية.

داليا وصفي

# كيف أرى النسوية؟

على كل حالٍ يمكن توصيف موقع المرأة جنسياً في المجتمعات العربية والإسلامية وفقاً لموقعها في مجموعة من العلاقات الاجتماعية المختلفة كالعائلة والزواج وأيضاً التفسير الاجتماعي والديني للأخلاق والفضيلة والشرف.أما عائلياً، الأم العربية أشبه براهبة تحرس عذرية بنات الدير، ومدى قدرتها على قمع شهوة فتياتها وحرمانها من أي صور إمتاعٍ ذاتي حتى نقل ملكيتها للزوج باعتبار ذلك ضمانا إنتاجيا هو مؤشر نجاحها في دور الأمومة في الثقافة العربية والإسلامية. وكما هو الحال اجتماعيا لا يمكن التسامح مع أمر إقامة المرأة لعلاقةٍ جنسيةٍ خارج الزواج أو خيانةٍ زوجية كان القمع الاجتماعي والثقافي لحاجاتها الغرائزية هو السبب فيها بينما يتم التسامح مع الذكر وعدم وصمه بالعار، فالعائلة أيضاً في الغالبية العظمى من هذه الصور تنهي الأمر بتطهير العائلة حد وصفهم للأمر من الأنثى –أي بقتلها– بينما يتم التسامح مع الذكر ببساطة إذا ما ارتكب الأمر ذاته. والسبب خلف ذلك دينيا وثقافيا يرجع لربط مسألة الشرف بالجنس وغيره من المفاهيم الفضفاضة المعنوية التي تقرر مصير الشخص الوجودي.

صراع الإيدولوجيات، الرأسمالية والاشتراكية، الأصولية والعلمانية، العمال وأصحاب رأس المال، الحاكم والمحكومين، أتباع السلطة والمعارضين لها، الأغلبية والأقلية من ناحية الصراع الطبقي والمتحكم في أغلبية مصادر القوى، الأغلبية والأقلية من ناحية الدين السائد بالمجتمع، الأغلبية والأقلية من ناحية الفئة العمرية السائدة بالمجتمع، الأغلبية والأقلية من ناحية العرق السائد بالمجتع، أتباع دين وأتباع دين أخر، أتباع مذهب وأتباع مذهب آخر، ووسط هذا الصراع الذي يملأ العالم نجد صراع النوع، والذي بدأ بصراع النوع البشري بأكمله مع الطبيعة في بداية التكوين، وهو الذي انحصر في إما أن يستمر النوع البشري في الوجود (وهو ما حدث) وإما أن تهزمه الطبيعة ويندثر؛ وبعد أن اطمأن النوع نفسه لوجوده واستمراريته بدأ يتطور الصراع ليكون بين طرفي النوع نفسه، الذكر والأنثى.. ربما حدثت مقاومة، وربما لم تحدث بالشكل المطلوب أو الكافي، إلا أننا وصلنا في النهاية في العصر الحالي إلى أنواع مختلفة من الصراع النوعي، فهناك من يأخذه بمأخذ الثنائي المنسجم الذي يتعاون ويتكاتف للوصول إلى أفضل أنواع الحياة التي يمكن أن تتوفر.. وهناك من يريده المتفاعل المتصارع بقوة على ألا يفني أحد النوعين الآخر، وإنما يحافظ على وجود هذا الطرف الأضعف تحت السيطرة الكاملة.

وفي هذا الصراع المتفاعل المتصارع بقوة، نجد من الطرف الأضعف من اعتادت تلك الحياة وتحارب للحفاظ عليها لأسباب عديدة بعضها يرجع للتعود وبعضها للمرض الناجم عن التعود وبعضها يعود للكسل والاستسهال، وهناك من يرفض هذا الخضوع، يرفض التهميش،

يرفضن الصراع النوعي، يتمنين لو كان انسجاما وليس صراعاً، ومن هنا ظهرت النسوية.. وبدأت بالمطالبة بالمساواة، والمساواة في الفكر النسوي من رؤيتي الخاصة لا تعني الندية والوقوف رأسا برأس مع السيطرة الذكورية بل هدفها توحيد النوع البشري وفصل الانقسام بين شقيه التابع والمتبوع من ناحية النوع.

فالنسوية مسار تصحيحي لتاريخ العالم الذي يغلب عليه الطابع الذكوري وهي بغرض التمييز للتميز والسيادة بل هي بغرض التمييز للوصول للمساواة وعدم الخضوع للتهميش الذي يطال النساء جميعهن بداخل كل الفئات المهمشة الأخرى، وليس معنى أن أحد الفئات المهمشة قد اتخذت موقفا دفاعيا ضد التهميش أنها تنفي عن الآخر أنه مهمش أيضا، فوجود حركات نسوية في مصر على سبيل المثال لا يعني أنها ضد حركات الأقباط أو المهميشن نتيجة لاختلافهم عن الديانة أو المذاهب السائدة بالدولة كالشيعة والبهائية أو حتى اليهود واللادينيين، وليست ضد حركات النوبيين أو السيناوية أو البدو عموما، وليست ضد حركات العمال أو الحركات النقابية المعنية بالحصول على حقوقهم المهضومة والدفاع عن حقهم كفئات مهمشة ترغب في المساواة. النسوية خرجت كحركة دفاعية عن فئة محددة اختار المنتمون لهذه الفئة والمنتمون معهم أن يقفوا للدفاع عن حقهم في الوجود والمساواة وخصوصاً إن كانت تلك الفئة المهمشة هي أيضاً نصف جميع الفئات المهمشة الأخرى.. فالمرأة هي أحدى طرفي النوع، وهي نصف المهمشين من الأقليات الدينية كاليهودية والبهائية واللادينية، ونصف المهمشين من المختلفين دينياً كالأقباط، ونصف الطبقة العاملة، ونصف المهمشين لإختلافهم العرقي.. إلخ.

وعندما تصل امرأة للسلطة أوالحكم نجد كثيرين ممن يصرخون: هاهي المرأة تحكم، هاهي المرأة تتساوى، هاهي المرأة مكرمة، إلا أنه لا يمكننا قياس وجود امرأة في هذا الموقع (مصادفة في أغلب الأحيان نتيجة للوراثة في الحالة الملكية أو غيرها من الظروف) على أن المرأة سادت ووصلت للمساواة، فعندما نذكر الملكة الفلانية أو الملكة العلانية أو رئيسة وزراء كذا ورئيسة دولة كذا، فإننا هنا لا ننظر للقاعدة بل ننظر لما خالف القاعدة العامة والطبيعية من وجهة نظر بعضهم.. وهي السيادة لأحد طرفي النوع على الآخر، والدليل على ذلك هل في عهد أية ملكة من تلك الملكات أو الرئيسات أو الوزيرات كانت المرأة مجندة بنسبة نصف جند جيش تلك الدولة؟ هل المرأة والرجل يعملان سوياً داخل المنزل بالأعمال المنزلية ورعاية شؤون الأطفال؟ هل يتساوى أجر المرأة والرجل عن نفس الأعمال والمهن مهما تدنت أو مهما علت؟

ما تريده النسوية المقتنعة أنا بها وأؤيدها هو أنه عندما ننظر لتاريخ دولة ما، أي دولة، نجد رؤساءها على مر التاريخ تتقارب نسبة الإناث فيهم من الذكور، ونجد نسبة مبدعيها وكتابها وعلمائها في شتى المجالات تتقارب أيضاً من أن تكون نسبة متساوية، أن تكون نسبة القيادات المهنية والعسكرية والنقابية تتساوى في كل تلك المجالات بلا انحياز أنثوي وظيفي في مجال وانحياز ذكوري وظيفي بمجال آخر (تمثل المرأة فى نقابة مهنة التمريض نسبة ٨٨,١٪؛ وتمثل المرأة بنقابة المهن الهندسية نسبة ١٨٪) أي لا نجد مهنا تحتكرها النساء ويوصم الرجل العامل بهذا المجال بأنه "مخنث"، ولا نجد مهنا يحتكرها الرجال وتوصم المرأة التي تعمل بها بأنها مسترجلة. ما تريده النسوية، أو بمعنى أدق ما تريده الإنسانية، أن ينطلق الإنسان للسعي خلف طموحه وخلف رغباته الإنسانية من تعلم وعمل واحتراف وإبداع في كل المجالات بلا قيد من أحد تحت أي مسمى، نوعي جندري، ديني أصولي، عاطفي تملكي.

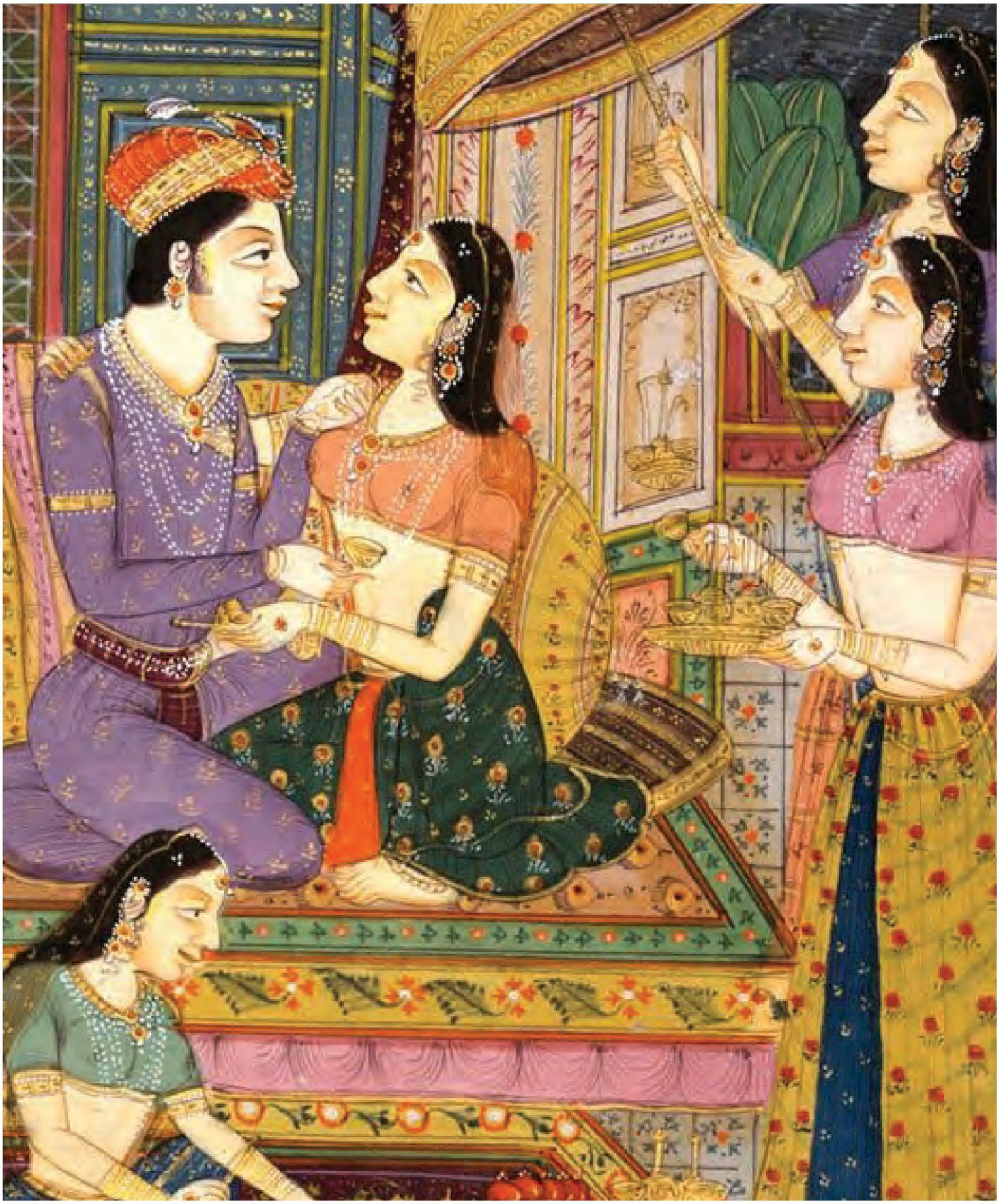

# الجنس في المنظومة الإسلامية

يمثل الجنس في الثقافة العربية الإسلامية واحدا من أكبر المعضلات الاجتماعية. فبصفته التابو المسكوت عنه والأكثر تجريما فنادرا ما يتصدى لدراسته علماء الاجتماع نظرا للصعوبات التي تواجه الباحث في جمع عيناته أو استكمال بحوث استطلاعه بحرية، خاصة فيما يتعلق بمجتمعات النساء، من هنا تأتي أهمية عالمة الاجتماع المغربية فاطمة المرنيسي ( ١٩٤٠-٢٠١٥). بصفتها واحدة من الجيل الأول من السوسيولوجيين العرب في مرحلة ما بعد الاستعمار الذين تصدوا لدراسة الجنس في مجتمعاتنا العربية.

تحاول المرنيسي في كتابها "ما وراء الحجاب.. الجنس كهندسة اجتماعية" وهو مختصر لأطروحة تقدمت بها لنيل درجة الدكتوراة عام ١٩٧٣، توضيح ديناميكية العلاقه بين الجنسين في المجتمعات الإسلامية. عن طريق تفكيك مفهوم الجنس والوقوف حول دور المرأة داخل العلاقة الجنسية. إضافة لمحاولة تحديد وظيفة الغرائز في العقلية العربية والإسلامية للوصول لفهم أعمق لمشكلاتنا المعاصرة.

تبدأ الكاتبة بالإشارة للاختلاف بين التصورين المسيحي والإسلامي لوظيفة الغرائز. حيث يقترب الأخير من المفهوم الفرويدي لليبيدو (اللذة المستندة إلى شهوة حسية، وهي الطاقة النفسية الأساسية للكائن الحي). في التصور المسيحي يعاني الفرد جراءه تمزقا بين نقيضي الخير والشر ، الجسد والروح ، الغريزة والعقل. أما في التصور الإسلامي فالغريزة تشكل طاقة خالصة. لا تكتسب قواها الخيرة أو الخبيثة إلا حين التعامل معها من منظور اجتماعي. فمثلا غريزتي الاعتداء والشهوة الجنسية قد تكونان إيجابيتين وتسهمان في بناء المجتمع الإسلامي إذا وجهتا الوجهة السليمة أو سلبيتين تعملان على تقويض البناء المجتمعي إذا صرفتا بصورة سلبية. تحاول المرنيسي بعد ذلك تبين كيف أدمج الإسلام الغريزة الجنسية في النظام الإسلامي لتسخيرها في خدمة اللّه. حيث تستشهد بما قاله الغزالي في كتابه " إحياء علوم الدين " الذي وضح فيه التناقض بين الشهوة الجنسية والنظام الاجتماعي. يقول الغزالي " إن الشهوة إذا ما غلبت ولم تقاومها قوة التقوى ، جرّت إلى اقتحام الفواحش " أما إذا ما سخرت لخدمة اللّه والفرد في الدنيا والآخرة فإنها تسمو بالوجود على الأرض وفي السماء.

تقول المرنيسي عن وظيفة الغرائز في النظام الإسلامي " الفرد لا يحيا إلا داخل نظام اجتماعي، وكل نظام اجتماعي يفترض مجموعة من القوانين التي تحدد ما إذا كان استخدام الغرائز قد أخذ وجهته الحسنة أم القبيحة، وبالتالي فإن طريقة استعمال الغرائز هي التي تفيد النظام الاجتماعي أو تضر به وليس الغرائز في حد ذاتها. ويترتب على ذلك أن الفرد في النظام الإسلامي غير مجبر على التخلص من غرائزه أو التحكم فيها مبدئيا، بل إن المطلوب منه هو ممارستها تبعا لما تفرضه الشريعة فحسب". فوظيفة الغريزة الجنسية في المجتمع الإسلامي محددة في هدفين: استمرار الجنس البشري، وتذكير دائم بنعيم الجنة. عن طريق اللذة الوقتية المستولدة من الشهوة الجنسية. ونظرا لتلك الطبيعة الازدواجية الأرضية / السماوية للغرائز تطلب الأمر وجود نظام إلهي لضبط تلك الغرائز وهو ما لجأ اليه الرسول كإحدى الوسائل الرئيسة لإقامة نظام اجتماعي جديد في الجزيرة العربية الجاهلية والمتحررة جنسيا آنذاك.

وفي التساؤل حول دور المرأة في الحياة الجنسية هل هو فعال أم سلبي؟ ترفض الكاتبة ما ذهب إليه جورج مردوك في تقسيمه للمجتمعات حسب طريقتها في ضبط الغريزة الجنسية. من أن السبب في التفرقة بين المجتمعات التي تفرض احترام الضوابط الجنسية والمجتمعات التي تلجأ إلى حوافز الاحتياطات الخارجية، كقواعد السلوك القائمة على التفرقة بين الجنسين. لا يرجع إلى ميكانيزمات التعميق الداخلي للقواعد الصارمة وقت التنشئة بقدر ما يعود إلى تصور دور المرأة لكل منهما في الحياة الجنسية. فالمجتمعات الإسلامية التي تسعى لفرض عزلة على المرأة تتصور ضمنيا أن للمرأة دورا فعالا. أما المجتمع الذي يفرض ضوابط جنسية على المرأة فيرى دورها سلبيا.

وترى الكاتبة أن هناك تناقضا بين نظريتين إحداهما علنية والأخرى ضمنية عن الحياة الجنسية في المنظومة الإسلامية. نظرية علنية تفترض أن دور المرأة سلبي تتشابه مع النظرة الفرويدية لدور المرأة في العلاقة الجنسية وأخرى ضمنية في اللاوعي الإسلامي. يمكن استنباطها من الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين تقول: إن الحضارة مجهود يهدف إلى احتواء سلطة المرأة الهدامة والكاسحة لذلك يجب ضبط النساء لكي ينصرف الرجال إلى واجباتهم الاجتماعية والدينية. ففي النظرية الضمنية المرأة فعّالة وإن كانت هدامة تقوم بدور الصياد والرجل هو الفريسة السلبية. لذلك وجب احتواء المرأة عن طريق مؤسسات ذكورية مهيمنة من بينها الفصل بين الجنسين وتعدد الزوجات.

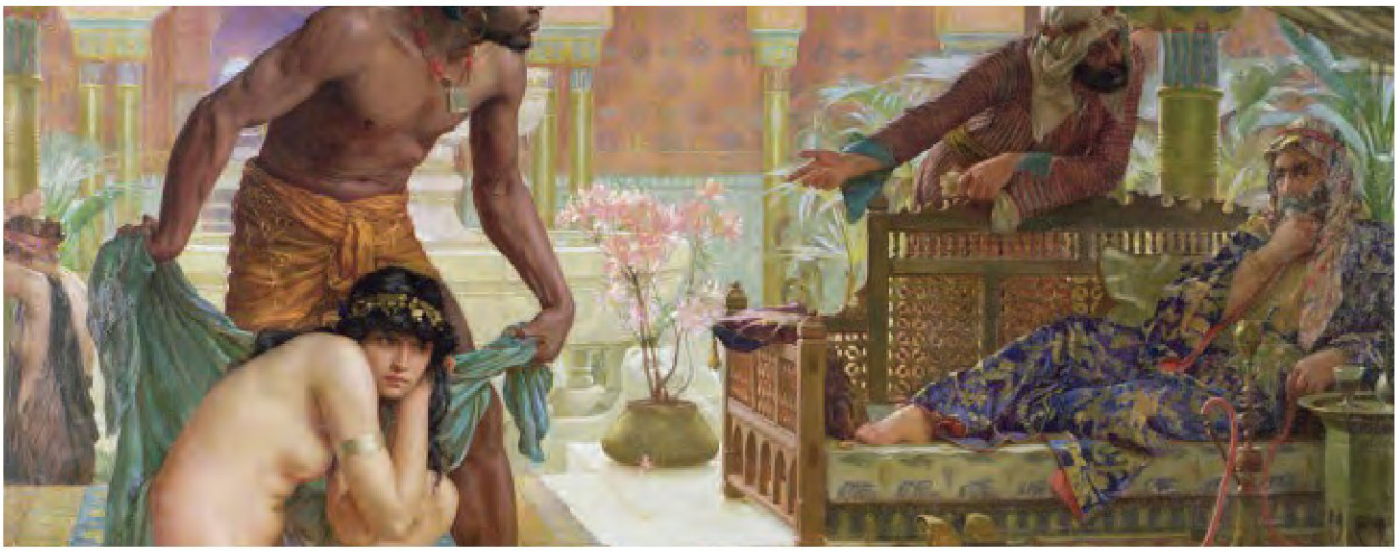

تؤكد بعد ذلك على وجود فارق جوهري بين النظرة الفرويدية الغربية المسيحية والنظرة الإسلامية للعلاقة بين الحضارة والجنس فتقول: "تختلف النظرة الإسلامية عن التسامي اختلافا جذريا عما نجده في التقليد الغربي المسيحي كما تصوره النظرة الفرويدية في التحليل النفسي. فالحضارة لدى فرويد حرب ضد الجنس، وهي طاقة جنسية حرفت عن هدفها الجنسي نحو أهداف اجتماعية سامية لم يعد لها طابع جنسي. والحضارة في النظرة الإسلامية نتيجة لإشباع الطاقة الجنسية، فليس العمل نتيجة للحرمان الجنسي، ولكنه نتيجة لممارسة جنسية مشبعة ومنظمة.

من هنا يأتي دور تلك التنظيمات الجنسية الجديدة في عهد الرسول محمد من الفصل بين الجنسين وتعدد الزوجات وإبطال بعض أنماط الزواج التي كانت منتشرة في الجاهلية كزواج المتعة والاستبضاع وزواج الرهط في توجيه طاقة المجتمع وجهة بناءة كما أسهمت تلك التنظيمات في انتقال مجتمع الجزيرة من مجتمع شبه أمومي إلى مجتمع أبوي بامتياز. كما ركزت اهتمام المجتمع على أهمية الأبوة البيولوجية ومنظومة الأسرة التي بدورها أسهمت في خلق وترسيخ مفهوم الأمة ضد مفهوم القبيلة، وتغطي الفصول الأخيرة من الكتاب البحث السوسيولوجي الميداني الذي قامت به الكاتبة في بادية المغرب ومدنها. محاولة تتبع تأثير مفاهيم الحداثة الغربية في تلك المجتمعات. كتحدي المرأة للتمييز الجنسي وغزوها للمجال العام وسوق العمل، والصعوبات الاجتماعية والاقتصادية ودورها في تحديد أطر التمايز والاندماج وديناميكية العلاقة بين الجنسين.

تقول المرنيسي في الخاتمة "إن القضاء على التمييز بين الجنسين يخلق ضغوطا جديدة ويؤدي الى قلق متجدد، فالحدود التي تقسم المكان وتفرض نوعا من التوزيع في السلطة بين الجنسين غدت ملتبسة، مما يتطلب من الرجال والنساء على السواء تلاؤما جديدا باعثا على القلق. وعلى الرغم من الصعوبات والضغوط والمواجهات المؤلمة التي يعيشها الرجال والنساء في المغرب راهنا، هناك جديد يتمثل في الزوجين اللذين يحصلان بصعوبة على الشرعية. وأيا كانت الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها النساء المستجوبات منذ سنة ١٩٧١، وأيا كان مستواهن التعليمي ونشاطهن، فإنهن يطالبن بالزواج القائم على الزوجين في إطار المساواة والعلاقة المتينة كمرتكز لأسرة سليمة ، وفرصة وحيدة لتربية أجيال أكثر تفتحا على المستويين العاطفي والثقافي.

تداعيات

# ختان الإناث: الجريمة المسكوت عنها

أثارت تصريحات المفتي العماني أحمد الخليلي المؤيدة لختان الإناث، رغم تجريم القانون العماني له، ردود فعل واسعة في سلطنة عمان ودول الخليج العربي. تلك الجريمة التي تمارس ضد الكثير من الفتيات العربيات وغير العربيات في العالم، من تشويه لأعضائهن التناسلية تارة باسم الدين أو العادات والتقاليد أو للحد من شهوة ومتعة تلك الفتيات الجنسية توهما أنهن بهذا الختان صرن عفيفات حاضرا ومستقبلا. في هذا الصدد وبحثا عن تساؤلات حول تلك القضية، في أي البلدان العربية تنتشر تلك الجريمة؟ من أين جاء مرجعها الديني الإسلامي ؟ ما دور الدولة والمجتمع للحد من ختان الإناث؟ وهل تؤثر تلك الجريمة علي صحة وسلامة المرأة بشكل عام أم ينحصر التأثير في صحتها الجنسية؟ التقت مواطن كلا من شيماء حسن، الرئيس المؤسس لمنظمة موجه سلام ومقرها لندن المهتمة في نشر الثقافة الحقوقية ، ليال خروبي، صحافية لبنانية، وللامرود ناشطة نسوية ومؤسسة حساب تويتر "نسويات عمانيات"، والكاتبة والناشطة النسوية داليا وصفي.

**متابعة : محمد هلال**

شيماء حسن: تعاني ٢٠٠ مليون امرأة وفتاة حول العالم من جريمة ختان الإناث

شيماء حسن: لا يمكننا أن نعالج مشكلة ختان الإناث بمعزلٍ عن غيرها من أشكال العنف الأخرى ضد النساء

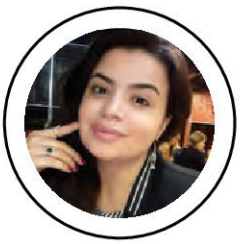

ليال خروبي: كل قانون لا يكون منبثقاً من ثقافة مجتمعية تدعمه، يجدُ فيه المواطن ألف طريقة للتحايل عليه.

ليال خروبي: الختان جزء من الاستلاب الجنسي للمرأة واختزال جسدها في بعده الجنسي.

للامرود: إن جريمة الختان تؤثر في صحة وسلامة المرأة في عدة جوانب.

للامرود: المرأة في المجتمعات العربية الإسلامية لا تملك جسدها.

داليا وصفي: إذا ما تخطت المرأة المحنة الجسدية اللحظية لعملية الختان وتعافت منها، فإنها تكمل حياتها تعاني مابعد الصدمة

داليا وصفي: المجتمع المدني مُحجَّم تماماً في المجتمعات العربية ومُهدَّد دائماً

ترى شيماء حسن أن قضية ختان الإناث ينظر لها ويتم التعامل معها على أنها قضية إفريقية فقط، ويُنكر وجودها في الدول الآسيوية باستثناء اليمن بسبب قربه من القارة الإفريقية. لكن ختان الإناث مشكلة عالمية؛ وفقا لتقديرات الأمم المتحدة، تعاني ٢٠٠ مليون امرأة وفتاة حول العالم من جريمة ختان الإناث، فمثلا تتم ممارسة جريمة ختان الإناث في البلدان العربية الآسيوية كالعراق والأردن والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، وسلطنة عمان.

وتعتقد للا مرود أن الدول العربية الآسيوية وبعض الدول الآسيوية غير العربية تعاني أيضا من ختان الإناث لكن بصورة أقل من الدول الإفريقية، فعملية الختان درجات، تختلف كل درجة عن الأخرى بحجم الجزء المقتطع من العضو التناسلي للأنثى، وتتواجد الصور الأبشع من تلك الممارسة في البلدان الإفريقية. وتضيف، أنه بسبب حساسية تلك القضية هناك نقص واضح في الإحصائيات حول هذا الأمر خاصة في دول الخليج العربي.

وعن مرجعها الديني، تقول ليال خروبي: بحسب الأبحاث فإن أصل هذه الجريمة هي العادات والتقاليد الاجتماعية، ويعزز بعض علماء الدين تلك العادات والتقاليد فمثلا يرى يوسف القرضاوي وجاد الحق أن ختان الإناث محمود شرعا. وتضيف، بكل الأحوال فالختان أزمة مجتمعية في بلداننا العربية وهو جزء من الاستلاب الجنسي للمرأة واختزال جسدها في بعده الجنسي وفقط، والنظرة الدينية الإسلامية منبثقة من هذا الاختزال.

بينما ترى داليا وصفي أن أصل المسألة ليس في البعد الديني لها وفقط، بل تتعدي الأزمة إلى ما يغذي تلك الرؤى الدينية المنغلقة من ثقافة أكثر تجذرا في تلك المجتمعات وأشد وطأة وهي الثقافة الذكورية، فتنتشر تلك الجريمة في المجتمعات المسيطر عليها الثقافة الذكورية أكثر من غيرها. وبالتأكيد تأثرت الثقافة الدينية بتلك النظرة المجتمعية الذكورية وهو ما نلحظه في الأديان الإبراهيمية الثلاثة من يهودية ومسيحية وإسلام والتي تعامل المرأة كأحد ممتلكات الرجل الوصي عليها.

من جانبها تعتقد شيماء حسن أن مبررات جريمة الختان هي تفسيرات دينية ومعتقدات ثقافيه مغلوطة مستشهدة ببيان صادر من المجلس الأعلى للأبحاث الإسلامية بالأزهر الشريف يقر بأن ختان الإناث ليس له أي أساس ديني. وتعتقد للا مرود أن خلطا بين ختان الذكور وختان الإناث قد حدث لدى فقهاء الإسلام، وأن المراجع الدينية في بعض البلدان الإسلامية تنحاز للآراء الفقية التي تقول بوجوب الختان وتتجاهل آراء فقهية أخرى ترى عدم وجوبه. وتتساءل، تعليقا على تصريح المفتي العماني أحمد الخليلي بأن ختان الإناث ليس انتهاكا لحرمتهن، وتقول: إن لم يكن تشويه الأعضاء الجنسية للطفلة انتهاكا فما هو تعريف الانتهاك ؟

وعن أي المناطق في سلطنة عمان تشهد انتشارا أكبر لتلك الظاهرة تشير شيماء حسن إلى الدراسة التي أجرتها حبيبة الهنائي في العام ٢٠١٣، والتي أظهرت أن تلك الظاهره تنتشر بنسبة ٧٨٪ في المناطق الشمالية، كانت نتائج تلك الدراسة صادمة حيث كان الاعتقاد بأن انتشار تلك الممارسة فقط في جنوب السلطنة. كما تشير لدراسة أخرى أجرتها د. هدى ثابت فى العام ٢٠١٨، بأن تلك الممارسة الوحشية تعرضت لها ما يقرب من ١٠٠٪ من النساء من الداخلية. كما أفادت خمس نساء من أصل مائتي امرأة بأنهن لم يقطعن، منهن أربعة من أصل غير عماني أو ذوي أصول زنجبارية، من العمانيين الذين استوطنوا زنجبار وتم طردهم بعد ثورة زنجبار في العام ١٩٦٤.

وعن تأثير الختان على صحة المرأة، تقول للا مرود إن جريمة الختان تؤثر في صحة وسلامة المرأة في عدة جوانب، فالصحة الجنسية تتأثر سلبا من تشويه الأعضاء الجنسية للمرأة، أيضا أثناء ممارسة جريمة الختان تتعرض الأنثى إلى آلام ومخاطر جسمانية كبيرة، كما تؤثر في الصحة النفسية وتترك أثرا سلبيا، أيضا قد تحدث مضاعفات للمرأة أو الطفل المولود أثناء الولادة نتيجة الختان. وتشير داليا وصفي إلى حالة ما بعد الصدمة، تقول: إذا ما تخطت المرأة المحنة الجسدية اللحظية لعملية الختان وتعافت منها دون نزيف يودي بحياتها في التو واللحظة أو خلال الساعات والأيام التالية، فإنها تكمل حياتها وهي مصابة بما بعد الصدمة جراء ذبحها على يد أقرب أقربائها.. فالأم والجدة والخالة والعمة يتكاتفن سوياً مع امرأة غريبة لتكبيلها وفتح أرجلها واقتلاع جزء من جسدها بدعوى العفة والطهارة!! هذا الحدث وحده كفيل بأن يدمر نفسية المرأة للأبد ويفقدها الثقة بنفسها وبكل من حولها بجانب التسبب في الارتباك النفسي غير العادي فهي قد تم اقتطاع جزء من جسدها بدعوى العفة وهي مأمورة بالتصرف وفق العادات والتقاليد بالمجتمع الملزمة بتتبع أسلوب محدد من التصرفات والتعاملات المغلقة ثم وفجأة يتم أمرها أن تكون مشبعة لزوجها جنسياً دون أن تتخلى عن الآداب المصطنعة التي وضعها المجتمع وهي المعضلة التي تواجهها جميع النساء بالمجتمعات العربية، وخاصة المرأة المختونة لأنها يتم نعتها بالباردة وغير المتجاوبة جنسياً مع زوجها وهو العرض الناتج عن عملية الختان.

وتشير شيماء حسن إلى أن هناك أربعة أنواع من الختان طبقا لتصنيف منظمة الصحة العالمية، وتشير إلى أن الأضرار لا تنحصر في الصحة الجنسية وفقط ولكن تسبب أضرارا جسدية ونفسية واجتماعية غالبا ما يستمر تأثيرها في الأنثى لبقية حياتها وقد تشمل الأضرار مشاكل في عملية التبول أو أثناء الدورة الشهرية وزيادة خطر حدوث مضاعفات أثناء الولادة إضافة لمشكلات نفسية كالاكتئاب والقلق وانخفاض تقدير الذات

وبالحديث عن دور الدولة تعتقد ليال خروبي أن دور الدولة بالدرجة الأولى هو تجريم هذه العادة، ولكن كل قانون لا يكون منبثقاً من ثقافة مجتمعية تدعمه، يجدُ فيه المواطن ألف طريقة للتحايل عليه. وترى أيضا للا مرود أن القوانين وحدها لا تكفي فلابد من حركة توعوية داخل المجتمع، فمثلا في سلطنة عمان تم إقرار قانون يمنع ختان الإناث. لكن الممارسة تتم بسرية خارج المؤسسات الصحية للدولة، ويجب أن تراجع المنظومة الدينية آراءها وتقر فتوى تجرم الجتان لما يمثله من ضرر على المرأة وصحتها العامة.

من جانبها شيماء حسن تعتقد أننا لا يمكننا أن نعالج مشكلة ختان الإناث بمعزلٍ عن غيرها من أشكال العنف الأخرى ضد النساء والفتيات، والممارسات المؤذية مثل الزواج المبكر والقسري لذا يتعين على الدولة وموسساتها معالجة الأسباب الجذرية لعدم المساواة بين الجنسين والعمل من أجل تمكين المرأة اجتماعيًا واقتصاديًا، كما ترى أننا في حاجة إلى تشريعات جديدة تحمي حقوق الفتيات والنساء من العنف والتمييز. وينبغي على الحكومات في البلدان التي ينتشر فيها ختان الإناث أن تضع خطط عمل وطنية لإنهائه والعمل على تمكين المجتمع المدني وتعزيز دوره.

أما عن دور المجتمع المدني في محاربة جريمة الختان تعتقد شيماء حسن أن على مؤسسات المجتمع المدني نشر الوعي لجميع الفئات من رجال وسيدات وشبان وفتيات وأطفال حول ختان الإناث وأضراره والمغزى من منع وتجريم الختان. وتمكين الفتيات والنساء من ممارسة حقوقهن الصحية. والاستمرار في الاحتفال بيوم ٦ شباط/فبراير بوصفه اليوم الدولي لعدم التسامح مطلقا إزاء تشويه الأعضاء التناسيلة للإناث، واستغلال هذا اليوم في حملات لرفع الوعي بهذه الممارسة واتخاذ إجراءات ملموسة للحد من تشويه الأعضاء التناسلية للإناث.

أما ليال خروبي فترى أن العاتق الأكبر في تلك القضية يقع على عاتق مؤسسات المجتمع المدني التي عليها أن تنظم الحملات الإعلامية والندوات والمنشورات والمؤتمرات، لأن التقاليد هي المرجعية رقم واحد في مجتمعاتنا العربية، والمرأة بكونها الحلقة الأضعف تضطر دائما للخضوع لها وتكرارها وتوريثها للأجيال، ما يجعل التوعية هي السلاح الأول في مواجهة هذه الجريمة.

بينما ترى داليا وصفي أن المجتمع المدني مُحجَّم تماماً في المجتمعات العربية ومُهدَّد دائماً، ولكنه قادر "في حالة وجوده الفعلي" على الوصول لأكثر الأماكن جهلاً وفقراً لنشر الوعي بطرق مختلفة كمسرح الشارع والقهوة والطفل ونشر الكتيبات القادرة على توصيل المعلومة بشكل مبسط والتواصل مع النساء والفتيات بجميع الأعمار وتوعيتهن بمضار الختان.

أما للا مرود فترى أن على المجتمع المدني دورًا في غاية الأهمية لكنها لا تلحظ أي دور لمؤسساته حتى الآن فمثلا منذ صدور قانون تجريم الختان في سلطنة عمان لم تقم تلك المؤسسات بنشر التوعية المجتمعية بين النساء. من المهم أن تقوم مؤسسات المجتمع المدني بدور الراصد لأي انتهاك وتشجيع المجتمع على الإبلاغ عن ممارسي تلك الجريمة، ومن المهم أيضا أن نقوم بكسر تابوه التحدث في تلك القضية وهنا يأتي دور الإعلام كقوة وسلطة توعوية. ومن المهم وجود مؤسسات تعني بنشر الثقافة الحنسية وبالأخص الصحة الجنسية للمرأة. وأن نعيد للمرأة ملكيتها لجسدها، فالمرأة في المجتمعات العربية الإسلامية لا تملك جسدها.

إنفوجرافيك

# فاطمة المرنيسي

## عالمة اجتماع وكاتبة نسوية مغربية

ولدت في مدينة
فاس عام ١٩٤٠

درست العلوم الساسية في
جامعة السربون الفرنسية

حصلت علي الدكتوراة في
جامعة براندیز الأمريكية

قامت بالعمل الميداني في المغرب كعالمة اجتماع
لصالح منظمة اليونسكو، منظمة العمل الدولية،
السلطات المغربية

### من مؤلفاتها

ما وراء الحجاب
شهرزاد تذهب للغرب
الإسلام والديمقراطية.
شهرزاد ترحل إلى الغرب.
إسلامية الحجاب والنخبة الذكورية

### حصلت علي

جائزة أميرة أستورياس ٢٠٠٣
جائزة إراسموس ٢٠٠٤

### وفاتها

توفت في ٣٠ نوفمبر ٢٠١٥

# نوال السعداوي

نبض

شبكة مواطن الإعلامية

ما بعد الخطوط الحمراء

المملكة المتحدة - لندن